العدد 668 – الاثنين 09 كانون الأول/ ديسمبر 2024 – السنة الثالثة عشرة www.enabbaladi.net

عنب بلدي
enab baladi
من كرْم الثورة
جريدة أسبوعية
تأسست في داريا

سوريا تخلع الأسد

11 يومًا تنهي 44 عامًا

أسرار عسكرية لمعركة إسقاط الأسد

11 يومًا مرت على الشعب السوري، أعادت إليه مشاهد 13 سنة عاشها بين نزوح وخوف واعتقال تخللتها فترات من الفرح ما لبث تدخل الدول على رأسها روسيا بإنهاء هذه الفرحة.
بدأ زحف فصائل المعارضة باتجاه ريف حلب الغربي، في 27 من تشرين الثاني الماضي، ووسعت الزحف في اليوم الثاني بفتح محور ريف إدلب الشرقي، لتتهاوى بعدها نقاط تمركز قوات النظام الواحدة تلو الأخرى، تلتها انسحابات من مختلف المناطق السورية.
أهالي المدن والبلدات وأحياء دمشق انتفضوا مع تقدم فصائل الجنوب باتجاه ريف دمشق الغربي، وسيطرة فصائل "ردع العدوان" على مدينة حمص وتوجهها إلى دمشق، ليعلن، فجر الأحد 8 من كانون الأول، سقوط نظام آل السوريين على مدار 44 عامًا، خلال حكم حافظ الأسد وابنه بشار.
تناقش عنب بلدي في هذا الملف تحركات فصائل المعارضة وسيطرتها على المدن ومراكز المحافظات، وهو ما لم تستطع فعله خلال السنوات السابقة باستثناء سيطرتها على محافظتي إدلب والرقة، ونقاط القوة والضعف لدى فصائل المعارضة وقوات النظام، إضافة إلى محاولات النظام تجنيد مقاتلين.

التحضير والتخطيط عاملان أساسيان

عنب بلدي – علي درويش | حسن إبراهيم | خالد الجرعتلي

شهدت عملية "ردع العدوان" تنظيمًا من ناحية التجهيز للعمليات العسكرية، وطريقة إدارتها وإصدار البيانات وكيفية الانتقال من خط هجومي إلى آخر، أو إدارة الأمور الخدمية للسكان في مناطق سيطرة المعارضة شمال غربي سوريا وما تبعها في المناطق التي تمت السيطرة عليها.
المحلل العسكري العقيد فايز الأسمر قال لعنب بلدي، إن التحضير والتخطيط والتنظيم الجيد والانضباط القتالي العالي والروح المعنوية العالية، كلها كانت من نقاط القوة لدى غرفة عمليات "ردع العدوان".
وبالنسبة لنقاط الضعف لدى فصائل "ردع العدوان"، أوضح الأسمر أنه لا بد من وجودها، لكنها لم تظهر، لأن النظام وجيشه لم يقاتلا قتالًا حقيقيًا في كل العمليات، وفي الغالب كان ينسحب من مواقعه قبل وصول المقاتلين إليها.
واستثمرت الفصائل بشكل جيد انهيارات النظام منذ اليوم الأول للمعركة، وعليه فقد سرعت من وتيرة وزخم هجومها وتقدمها وعدم إعطاء أي فرصة للنظام لالتقاط أنفاسه، وفق تعبير الأسمر.
مدير مركز "رصد للدراسات الاستراتيجية" العميد عبد الله الأسعد، نوّه إلى نقاط قوة أخرى للفصائل وهي: القدرة على المناورة العالية بالقوات والقوة البشرية وسرعة التحرك في أرض المعركة والتنقل والتمركز بسرعة وإعطاء الأرض حقها في المناورة واختيار الأهداف.
وأضاف الأسعد، لعنب بلدي، أن فصائل المعارضة لديها معرفة قوية جدًا في الأرض، بينما الميليشيات الإيرانية وقوات النظام غير ضليعين بمعرفتها بشكل كبير.
ومن نقاط القوة لدى فصائل "ردع العدوان" أيضًا الطيران المسيّر، الذي استخدمته لأول مرة ضد النظام، وغير المعادلة على الأرض، ودمرت به مقار القيادة والدبابات وفرق الأمن.
أما نقاط الضعف لدى المعارضة فهي عدم امتلاكها سلاح الطيران وحتى أنظمة دفاع جوي، وبالمقابل، فإن طيران النظام قادر على قصف المناطق، ولكن رغم امتلاكها القوة والعتاد، لم تكن لديها إرادة للقتال.
ووفق تصور العقيد فايز الأسمر الذي تحدث به لعنب بلدي قبل سقوط النظام، فإنه بعد كل الانهيارات، ليست لدى النظام أوراق قوة، ولو كان يملك لرمى بعضها في حلب وحماة وحمص، لكن النظام لا يملك "إلا الإجرام الجوي"، ولا قوة لجيشه على الأرض، إضافة إلى الروح المعنوية المنخفضة وعدم توفر إرادة القتال لدى عناصره.
وتوقع الأسمر أن المعارك ستجبر رئيس النظام على التخلي عن الحكم قبل الوصول إلى دمشق، وهو ما حدث فعلًا لاحقًا.

11 يومًا من "ردع العدوان"

فجر 27 من تشرين الثاني الماضي، أطلقت الفصائل عملية عسكرية سمّتها "ردع العدوان"، ردًا على قصف قوات النظام المتكرر لمناطق شمال غربي سوريا، وقالت إن هدفها توسيع "المناطق الآمنة" تمهيدًا لعودة المهجرين والنازحين إليها.
"ردع العدوان" ذهبت أبعد من استعادة بعض المناطق كما كان يظن الكثير من السوريين، إلى معركة وصلت آثارها إلى مقر إقامة بشار الذي هرب أمام المد الشعبي والعسكري المعارض.
في اليوم الأول من العملية سيطرت الفصائل على أجزاء من ريف حلب الغربي، وباليوم الثاني أطلقت محورًا جديدًا باتجاه ريف إدلب الشرقي، سيطرت خلال ذلك على كامل ريف حلب الغربي إداريًا وجزء من ريف إدلب الشرقي.
وفي اليوم الثالث سيطرت على مدينة سراقب شرقي إدلب التي يمر فيها طريقا "M5" و"M4"، كما دخلت حلب المدينة ووسعت سيطرتها خلال اليومين الرابع والخامس (30 من تشرين الثاني و1 من كانون الأول الحالي) وسيطرت في الرابع على كامل محافظة إدلب إداريًا.
توجهت الفصائل إلى حماة وسيطرت على مدن بريفها الشمالي أبرزها حلفايا وصوران ومعردس وطيبة الإمام، في 3 من كانون الأول، ووسعت سيطرتها بريف حماة إلى أن دخلت المدينة وسيطرت عليها، في 5 من كانون الأول.
سيطرت الفصائل في اليوم التالي على مدينتي تلبيسة والرستن، وتوجهت أرتالها باتجاه مدينة حمص للسيطرة عليها، وبدأ العمل للسيطرة على قرى وبلدات وقطع عسكرية في محيط ريفي حمص الشرقي والشمالي، لتستطيع الفصائل السيطرة على حمص في 7 من كانون الأول.
وخلال 24 ساعة استطاعت غرفة عمليات الجنوب، التي تأسست في 6 من كانون الأول، السيطرة على محافظات درعا والقنيطرة والسويداء، وتمدد نفوذها باتجاه دمشق.
مع خروج حمص ومحافظات الجنوب السوري عن سيطرة النظام، تحرك مقاتلون محليون من ريف دمشق في الغوطة الشرقية والغربية ومن الجنوب السوري مع وصول مقاتلي الشمال تباعًا، ليكتب الجميع الفصل الأخير من عمر النظام.

تحركات تستهدف مراكز المدن

منذ اللحظة الأولى لتحرك فصائل المعارضة باتجاه مناطق سيطرة النظام في معركة كان عنوانها "ردع العدوان"، وضعت الفصائل مراكز المدن الكبرى نصب أعينها وبدأت بالتقدم، فأجلت دخول سراقب ومعرة النعمان رغم رمزيتهما بالنسبة للحاضنة الشعبية لهذه الفصائل، واتجهت إلى مدينة حلب التي تملك ثقلًا سياسيًا في سوريا.
سيطرت الفصائل المتقدمة سريعًا على حلب، ثم انتقلت لسراقب ومعرة النعمان مرورًا ببعض القرى والبلدات، ومنها انطلقت باتجاه حماة التي سيطرة على مركز مدينتها في أقل من أسبوع، تبعتها بساعات السيطرة على مدينة سلمية التي تقع على عقدة طرق تربط بها حمص بجغرافيا تسيطر عليها المعارضة شرقي حمص، وجنوبي حلب .
ومع وصول فصائل "ردع العدوان" إلى تخوم حمص، رسمت خرائط السيطرة خطًا مستقيمًا لتحركاتها باتجاه المدينة، متجاهلة قرى وبلدات في ريف المحافظة، وبريف حماة أيضًا وكأنها تقول نحو حمص، ولا شيء آخر.

لماذا مراكز المدن؟

سعى النظام منذ تحول الاحتجاجات المناهضة له للعمل المسلح، للحفاظ على مراكز المدن، ومع تخليه عن مركز محافظة الرقة فقط، تمسك بجارتها دير الزور رغم معارك ضارية شهدتها المدينة.
ومع مرور الوقت أضحت مدينة إدلب بيد فصائل المعارضة، لكنها لم تذهب أبعد من ذلك.
ويعتقد الباحث في الشأن العسكري بمركز "جسور للدراسات" رشيد حوراني، أن للمدن أهمية استراتيجية وسياسية في إطار الحرب في سوريا، وفق ما قاله لعنب بلدي.
المكسب الأساسي من السيطرة على أي مركز مدينة، أعطى تفوقًا معنويًا بأن المعارضة السورية انتصرت لأول مرة منذ عام 2014، وسيطرت على مدينة كاملة، وهذه المدينة كانت بداية ليست كأي مدينة، بل هي حلب مركز محافظة استراتيجي يحوي مدنًا صناعية وموارد.
وأضاف أن استهداف المعارضة لمراكز المدن أدى إلى تفكيك المعادلة السياسية التي رسمها النظام بدعم من حلفائه سواء على مستوى مسارات التطبيع مع الدول العربية، أو مع تركيا، أو حتى الدول الأوروبية.
ولفت إلى أن استمرار التحركات بملاحقة مراكز المدن أدى في نهاية المطاف إلى فرض الحل السياسي المطروح بشأن سوريا، خصوصًا بعدما امتدت هذه المعركة إلى نطاق أوسع، وسيطرت الفصائل على دمشق ومحافظات الجنوب السوري.
ويعتقد الباحث نوار شعبان أن النظام كان يستخدم الثقل المدني والحاضنة المدنية لحماية نفسه، فكان لا بد للفصائل من التحرك باتجاه المدن لتجريده من هذه الآلية.
وأضاف أن المدن الكبيرة استُنزفت أمنيًا وعسكريًا من قبل النظام وحتى على الصعيد الخدمي، ما جعل من الممكن الدخول إليها اليوم، لافتًا إلى أن سيطرة المعارضة على المدن هو موضوع معنوي "ضخم" مختلف عن دخول الأرياف.
ووصف شعبان سيطرة المعارضة على مراكز المدن بالتحول "المفصلي"، خاصة أن النظام كان يدعي أنه حاميها، لكنه انسحب منها بأقل من ساعات.

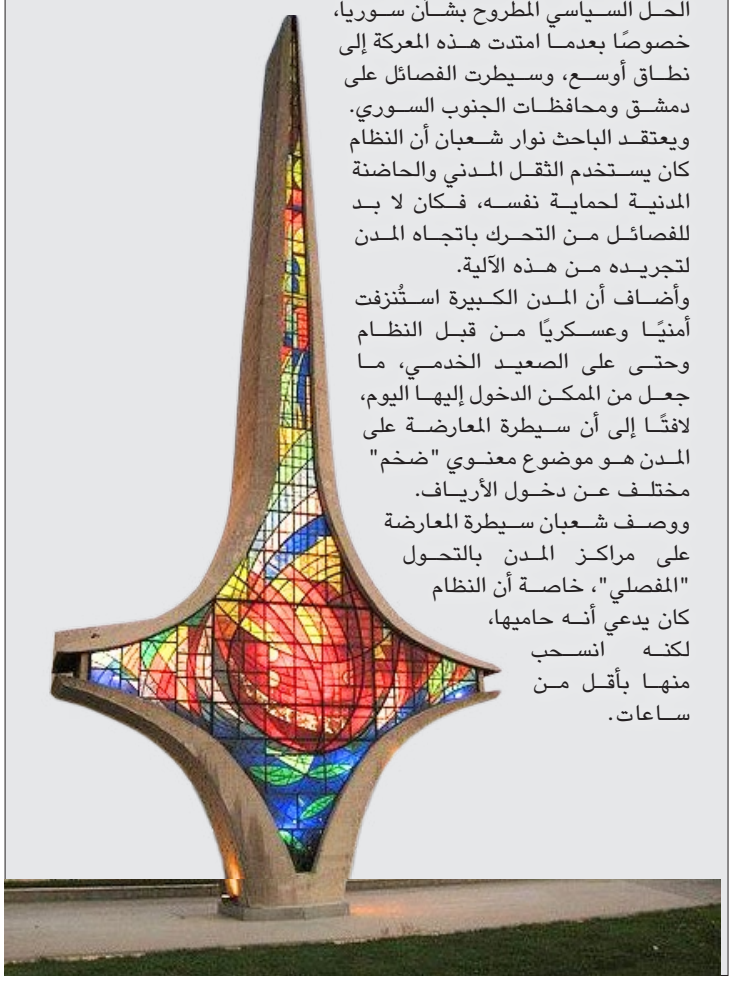

سوريون يحتفلون بوصول مقاتلي المعارضة إلى دمشق - 8 كانون الأول 2024 (AFP)

الدعم والتحشيد

معركة خلف الخطوط

مع انطلاق عملية "ردع العدوان" التي أطلقتها فصائل المعارضة، انهارت قوات النظام السوري المتمركزة قرب خطوط التماس، وانحسرت لتخسر مدنًا استراتيجية وبلدات وقرى ونقاطًا لها ثقلها عسكريًا.

بالتزامن مع هذا التراجع، أعلن رئيس النظام السابق، بشار الأسد، زيادة رواتب العسكريين 50% بدءًا من الشهر المقبل، وظهرت منشورات تدعو للتطوع والانضمام كمجموعات رديفة للجيش، مع بيانات من مجموعات تنتمي لقبائل أعلنت عن استعدادها للانضمام كمجموعات رديفة.

رغم وجود "الجيش"، ظهر عناصر وضباط فرع المرور في حماة خلال تسجيل مصور، في 4 من كانون الأول، أعلنوا عن وجودهم بالفرع "بهمة عالية"، نافين انسحابهم أو تقدم الفصائل إلى أحياء المدينة.

خلال العامين الماضيين، بدا أن الأسد ضَمِن ولو نسبيًا توقف رحى المعارك، إذ أَصدر عدة تعميمات وقرارات تحمل إنهاء الاحتفاظ بالعسكريين والإداريين، وفتحت وزارة الدفاع في حكومته باب التطوع، وفق شروط.

دعوات للتطوع وزيادة رواتب

مع تقهقر قوات النظام برزت دعوات لتشكيل مجموعات عسكرية رديفة، أبرزها من وسيم الأسد، ابن عم بشار الأسد، الذي أعلن عبر "فيس بوك" عن تجهيز "مجموعات إسناد وحماية" لمحافظة اللاذقية وريفها تكون رديفة للجيش والقوات العاملة على جبهات القتال.

وقال إن مهام هذه المجموعات خارجية، وهي تابعة لشعبة "المخابرات العسكرية"، براتب شهري قدره ثلاثة ملايين ليرة سورية للمقاتل (نحو 150 دولارًا أمريكيًا على اعتبار الدولار الواحد 20 ألف ليرة).

وأضاف، في 1 من كانون الأول الحالي، أن هناك "تسوية أوضاع" للفارّين والمدعوين للخدمة الإلزامية، لافتًا إلى أن اللباس والعتاد يتم تسليمه من المكتب أصولًا.

ونقلت صحف حكومية وإعلاميون عسكريون في قوات النظام، أن قبائل أعلنت "التفافها" حول الجيش، ودعمه في المعركة، منها قبيلة السادة المعامرة الأشراف في الحسكة، وقبيلة الشرابين.

وبينما كانت المعارك والاشتباكات تشتد على أعتاب مدينة حماة، أصدر بشار الأسد، في 4 من كانون الأول، مرسومًا يقضي بزيادة رواتب العسكريين، بإضافة نسبة 50% إلى الرواتب المقطوعة للعسكريين المشمولين بأحكام قانون الخدمة العسكرية.

اعتقال للتجنيد

مع احتدام حدة الصراع، شنت قوات النظام عمليات اعتقال في مناطق سيطرتها بغرض التجنيد في القتال إلى جانبها بالمعارك ضد فصائل المعارضة.

"الشبكة السورية لحقوق الإنسان" قالت، في 5 من كانون الأول، إن قوات النظام شنت منذ 29 من تشرين الثاني الماضي حملات مداهمة واعتقال جماعية، استهدفت مئات الشبان والأطفال بغرض اقتيادهم للتجنيد الإجباري، وإلحاقهم مباشرة بجبهات القتال.

وقدّرت "الشبكة السورية" اعتقال نحو 1000 شخص خلال حملات الاعتقال، نُقلوا فورًا إلى جبهات القتال دون إخضاعهم لأي تدريبات عسكرية أو إجراءات قانونية، وهو ما يعرضهم لخطر مباشر يهدد حياتهم في ظل العمليات العسكرية الجارية.

وشملت حملات الاعتقال مداهمة الأسواق، والأحياء السكنية، والشوارع، والأماكن العامة، واستهدفت الرجال والفتيان الذين تتراوح أعمارهم بين 17 و45 عامًا.

وطال الاعتقال أشخاصًا يحملون وثائق الإعفاء أو التأجيل من الخدمة العسكرية وممن أجروا "تسويات" لأوضاعهم الأمنية، بالإضافة إلى عدد من اللاجئين الذين عادوا من لبنان منذ أيلول الماضي، وفق "الشبكة".

"دعم نفسي وتحشيد"

بالتزامن مع "ردع العدوان"، توعدت قوات النظام السوري بالرد والتصدي، لكنها في المقابل كانت تخسر نقاطًا تلو الأخرى، كما نشر إعلاميون عسكريون أخبارًا عن استعادة مناطق، منها مثلًا مطار "حماة العسكري".

الباحث المتخصص في العلاقات العسكرية المدنية بمركز "عمران للدراسات الاستراتيجية" محسن المصطفى، قال لعنب بلدي، إن المعطيات الدالة على وجود حالة انهيار ازدادت، وباتت واضحة في صفوف النظام السوري في ظل الانهيار السريع لقواته وفقدانه السيطرة على مناطق استراتيجية.

واعتبر المصطفى أن إعلان زيادة الرواتب بنسبة 50%، والدعوات للتطوع كمجموعات رديفة، كانت مجرد محاولات دعم نفسي لقوة الجيش المنهارة، ولم يسعف الوقت الأسد لترميم المؤسسة العسكرية.

أما الدعوات للتطوع وتشكيل مجموعات رديفة، فكانت محاولة لتحشيد الطائفة العلوية عبر إخافتهم، وإلى زيادة القوى البشرية الأساسية للجيش لتعويض الخسائر بأسرع ما يمكن، وفق الباحث.

يعتقد الباحث أنه يمكن على الأقل اعتبار إصدار أوامر إنهاء الاحتفاظ المتكررة خلال العامين الماضيين تسرعًا قبل الوصول إلى بنية "الجيش الاحترافي" التي كان يعمل عليها النظام، إذ أسهمت تلك القرارات في تقليص حجم القوى البشرية للجيش، في وقت كان يعتقد النظام أنه انتصر عسكريًا.

حشد على الطرف الآخر

على الطرف الآخر، شهدت مناطق شمال غربي سوريا توجه مقاتلين سابقين في فصائل المعارضة لا ينتسبون لأي فصيل إلى جبهات القتال، بعد التقدم الذي أحرزته "إدارة العمليات العسكرية" خلال عملية "ردع العدوان".

ولم يقتصر الانخراط بالمعارك على المقاتلين السابقين بل شمل أيضًا أشخاصًا من أبناء المناطق التي تضعها "إدارة العمليات" هدفًا للسيطرة عليها، ما زاد في القدرة البشرية لفصائل المعارضة خلال الهجوم، وتعويض العناصر الذين أصيبوا أو قتلوا في الهجمات.

وقال سكان في شمال غربي سوريا، لعنب بلدي، إن عمليات السيطرة دفعت أشخاصًا للانخراط في المعارك بعد التنسيق مع "إدارة العمليات العسكرية"، كي لا يكون دخولهم إلى المعارك عشوائيًا.

المشاركة في المعارك تتم إما عبر التوجه إلى مراكز الفصائل العسكرية أو مجموعات تنسيق بحسب المناطق عبر تطبيقات تواصل مثل "واتساب" و"تلجرام".

ويتجمع عدد من الأشخاص من أبناء منطقة معينة بعد تواصلهم عبر مجموعات بمنصات التواصل، ويتوجهون إلى "إدارة العمليات العسكرية" لتنظم مشاركتهم في المعارك.

القيادي في "إدارة العمليات العسكرية" المقدم حسن عبد الغني، أشار إلى مشاركة أبناء المناطق التي تحاول الفصائل السيطرة عليها، رغم أنهم لا ينتسبون لأي فصيل بقوله: "يستمر زحف قواتنا نحو مدينة حمص بخطى ثابتة، بعد وصول أرتال حاملة المئات من مهجري حمص لردع عدوان الأسد عن مدينتهم".

وأعلنت "إدارة التجنيد العسكري" العاملة في إدلب عن فتح باب الانتساب للعازبين الذين يريدون المشاركة في العمليات القتالية، على أن يخضعوا لدورة عسكرية وشرعية مدتها 15 يومًا.

وطلبت "إدارة العمليات العسكرية" ممن يجيد قيادة آليات عسكرية من نوع دبابة "فوزديكا"، وعربات "BTR" و"BMP"، التوجه إلى شعب التجنيد المتوزعة في شمال غربي سوريا. هذا الطلب جاء عقب سيطرة الفصائل على أعداد من الآليات العسكرية الثقيلة.

مقاتلون من المعارضة السورية يحتفلون بسقوط النظام السوريفي دمشق - 8 كانون الأول 2024 (AFP)

دارة حلب.. هل تكفي تجربة "الإنقاذ"؟

مارّة أمام قلعة حلب بعد سيطرة فصائل المعارضة عليها – 30 تشرين الثاني 2024 (عنب بلدي/ ديان جنباز)

عنب بلدي – موفق خوجة

تشكل الإدارة المدنية هاجسًا لدى ملايين السوريين بعد سقوط نظام الأسد، إذ تسارعت الأحداث في سوريا منذ 27 من تشرين الثاني الماضي، وسيطرت فصائل المعارضة على مناطق واسعة في شمالي ووسط سوريا، وكانت مدينة حلب، ثاني أكبر المدن السورية، أولى التي المناطق التي أخذتها فصائل المعارضة من يد النظام السوري.

وكان لافتًا التطور السريع في الأحداث وعلى صعيد الإدارة الخدمية، التي كان يتوقع لها أن تشهد فوضى نتيجة تبدل طرف السيطرة خلال يومين.

في 27 من تشرين الثاني الماضي، شهدت سوريا ولادة ما يسمى "إدارة العمليات العسكرية" التي أعلنت عن عملية "ردع العنوان"، وانطلقت من محاور حلب الغربية وصولًا إلى السيطرة على معظم حدود المدينة الإدارية بأريافها.

وبدأت فصائل المعارضة توغلها داخل أحياء حلب من بوابتها الغربية في 30 من تشرين الثاني الماضي، وخلال ساعات كانت الفصائل منتشرة في أطراف المدينة الأربعة.

ولم يبدِ عناصر النظام مقاومة واضحة داخل المدينة، وكان انسحابها سريعًا، وخلال يومين أصبحت مدينة حلب خالية من وجود النظام، وبقيت منطقتا الأشرفية والشيخ مقصود، داخل المدينة، تحت سيطرة "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد).

وتسيطر "قسد" على هذين الحيين قبل خروج فصائل المعارضة من أحياء حلب الشرقية في نهاية 2016.

ما قبل "ردع العدوان"

في منتصف آذار 2012، بدأت فصائل المعارضة السورية عملياتها العسكرية في محيط حلب ودخول أحيائها الشرقية، وأصبحت تسيطر على أحياء الشعار والصاخور وأجزاء من حلب القديمة وصولًا إلى صلاح الدين ومشارف سيف الدولة وسط المدينة.

وبقيت فصائل المعارضة تسيطر على قسم كبير من المدينة حتى بدأ النظام ما أسماها خطة "دبيب النمل" التي انتهت بإطباق النظام على أحياء حلب الشرقية بعد السيطرة على طريق "الكاستيلو" المنفذ الوحيد إلى مناطق سيطرة المعارضة داخل أحياء حلب.

وبعد وساطة تركية- روسية، أعلنت فصائل المعارضة، في كانون الثاني 2016، قبولهم المفاوضات وخروج نحو 300 ألف شخص من مدينة حلب عبر باصات تحمل عناصر المقاتلين وعوائلهم وما حملته أيديهم من سلاح وأمتعة، إلى أرياف إدلب.

ومنذ منتصف كانون الأول 2016، بقيت مدينة حلب وأجزاء واسعة من أريافها تحت سيطرة النظام وحتى دخول الفصائل في نهاية تشرين الثاني الماضي.

تطورات سريعة

منذ بداية الشهر الحالي، وبعد سيطرة فصائل المعارضة، بدأت معالم المدينة بالتغير بشكل غير مسبوق، وسط توقعات بوقوع فوضى بعد تغير طرف السيطرة، إلا أن الحال لم يكن كذلك، بشكل كبير.

وبدأت "إدارة العمليات العسكرية" إصدار قرارات متتالية منذ أولى لحظات دخولها إلى المدينة، منها ما حمل طمأنة لأهالي المدينة، وخاصة الأقليات، وعلى رأسهم المسيحيون، والآخر حمل طابعًا تنظيميًا يتحدث عن الأمور الخدمية.

كما دعت فصائل "ردع العدوان" الكوادر الخدمية للعودة إلى عملهم لمن أراد ذلك، فضلًا عن دعوة عناصر النظام إلى الانشقاق وتسليم أنفسهم و"إجراء تسوية".

كما تعهدت "إدارة العمليات العسكرية" بحفظ مؤسسات الدولة وحمايتها، ووجهت رسائل إلى الدول تضمن سلامة قنصلياتها والمراكز الدبلوماسية.

هل تنجح "الإنقاذ"

بالرغم من سرعة تنفيذ القرارات، تبقى التساؤلات حول مدى إمكانية حكومة "الإنقاذ" لإدارة ثاني أكبر المدن السورية من حيث المساحة وعدد السكان.

ويرى الباحث في شؤون الحوكمة الدكتور باسم حتاحت، أن "هيئة تحرير الشام" وهي أبرز فصائل "إدارة العمليات العسكرية" ستتدرج في عملية الحكم المدني، إلا أنها سينقصها قضيتان أساسيتان.

تنسحب القضية الأولى على نقص النظم والقوانين، وإذا أرادت "الهيئة" الاعتماد على القوانين السورية القديمة، وفي هذه الحالة تحتاج إلى قوى عسكرية منظمة، وهو ما يعني وجود جهاز شرطة.

وتحاول "الإنقاذ" بسط سيطرتها الأمنية عبر عدة إجراءات، منها تفعيل مراكز الشرطة، وتسيير دوريات، وفرض حظر للتجول لأكثر من مرة معللة الحظر بـ"ضمان سلامة الأهالي، والمرافق العامة والخاصة".

كما أنها منعت دخول المدنيين من خارج المدينة، وسمحت فقط بالخروج، بسبب ما قالت، إنه "استكمال للعمليات الأمنية والعسكرية داخل المدينة".

وأما القضية الثانية الناقصة، وفق ما يرى حتاحت، فتحتاج القوى المسيطرة على حلب حديثًا إلى التعامل عسكريًا داخل المنطقة كونها غير ممشطة بشكل جيد.

وخلّف التوغل السريع لفصائل المعارضة الكثير من عناصر النظام الذين لم تسنح لهم الفرصة بالانسحاب الذي جاء مفاجئًا، ما أسفر عن خلل أمني في عدة أحياء داخل المدينة.

ونشرت العديد من الصفحات المحلية التي تنقل أخبار المدينة أنباء عن حالات قنص واشتباكات بعد خروج النظام من كامل المدينة.

وقبيل دخول الفصائل إلى حلب، طالبت "إدارة العمليات العسكرية" عناصر النظام بالانشقاق وترك السلاح، وأكدت منحهم الأمان، في حال تركوا السلاح والتزموا البيوت.

وأعلنت وزارة الداخلية، التابعة لـ"الإنقاذ"، في 4 من كانون الأول الحالي، منح بطاقات مؤقتة للمنشقين عن النظام، بهدف "تسهيل حركتهم داخل المدينة"، وعدم التعرض لهم.

وحددت مراكز استقبال الطلبات بأربع نقاط في حلب، هي أقسام شرطة الصالحين والشهباء وباب الفرج وباب النصر.

وفي أحدث إحصائياتها حتى لحظة تحرير التقرير، أعلنت "إدارة العمليات العسكرية" منح بطاقات "حماية مؤقتة" لـ2424 شخصًا من المنشقين، خلال أربعة أيام.

من جانب آخر، دعت داخلية "الإنقاذ" إلى الانتساب إلى جهازها في حلب وإدلب، وحددت شروط الانتساب بأن يكون عمر الشخص بين 18 و30 عامًا، وأن يكون حاصلًا على الشهادة الإعدادية أو ما يعادلها، وأن يكون غير محكوم بجناية أو "جرم شائن" فضلًا عن سلامة بنيته الجسدية.

أزمة خبز

بعد دخول "إدارة العمليات العسكرية" إلى حلب، قامت بتسليم شؤون الإدارة المحلية إلى حكومة "الإنقاذ"، واهتمت الأخيرة بجوانب عدة من النواحي الخدمية.

القرارات الأولى التي صدرت عن إدارة حلب الجديدة كانت متعلقة بمادة الخبز، إذ شهدت أفران المدينة ازدحامًا في صباح اليوم الأول لسيطرة المعارضة، إثر عزوف الكثير من الأفران وكوادرها عن العمل.

وأعلنت الإدارة في اليوم الأول لسيطرة المعارضة إعادة تفعيل الأفران على مدار اليوم، ودعت العاملين بالأفران للعودة إلى عملهم، وبدأت وزارة التنمية والشؤون الإنسانية التابعة لحكومة "الإنقاذ" بتوزيع 65 ألف ربطة في ثاني أيام السيطرة.

وبادرت منظمات المجتمع المدني وهيئات أهلية إلى توزيع ربطات مجانية على الأهالي في المدينة، منها هيئة الإغاثة الإنسانية التركية (IHH)، التي أعلنت عن توزيع 36 ألف رغيف خبز يوميًا على المدنيين في حلب، إلا أن كميات الخبز لم تكن كافية، والعشوائية في التوزيع، أبقت على أزمة الخبز أيامًا حتى أعلنت "الإنقاذ" في اليوم الثالث لسيطرة المعارضة عن تشغيل الأفران العامة بحلب والبالغ عددها 16 فرنًا، إضافة إلى 143 فرنًا خاصًا.

شح في المياه ووفرة في الكهرباء

بحسب شهادات لأهالي المدينة، كانت التيار الكهربائي يصل لساعات قليلة، مقارنة بعدد ساعات الوصل المتوفرة حاليًا، بعد سيطرة المعارضة على المدينة.

وتغذي المدينة عدة محطات لتوليد الكهرباء، منها المحطة الواقعة على أطراف المدينة من الجهة الغربية، والمحطة الحرارية في الريف الشرقي، التي سيطرت عليها فصائل المعارضة بعد إطلاقها عملية "فجر الحرية".

وبالنسبة للمياه، تعاني أحياء في المدينة من انقطاع متكرر لشبكات المياه، بحسب ما رصدته عنب بلدي من شهادات لأهالي المنطقة.

وطالبت حكومة "الإنقاذ" العاملين بالمؤسسات الخدمية بالالتحاق بعملهم، وتعهدت بالإبقاء على عمل المؤسسات كما كانت بشكل طبيعي دون انقطاع، وتعهدت بترميمها.

تجربة سابقة

سيطرت المعارضة السورية على مركز مدينة إدلب عام 2015، وكان على رأس الفصائل المشاركة حينها، "جبهة النصرة" وهي الجهة التي انبثقت منها "هيئة تحرير الشام".

وبعد السيطرة على إدلب ومعظم أريافها، مرت "جبهة النصرة" بعدة مراحل غيرت من بنيتها الفكرية والتنظيمية، وحلت نفسها وشكلت ما سمي "فتح الشام" ثم غيّرته إلى مسماها الحالي "هيئة تحرير الشام".

وتشكلت "تحرير الشام" من عدة فصائل، إلا أن "فتح الشام" أو "جبهة النصرة" سابقًا، هو المكون الرئيس لـ"الهيئة"، وهي صاحبة النفوذ العسكري الأقوى في المنطقة حتى الآن.

وفي عام 2017، شكل ما يعرف بحكومة "الإنقاذ"، وهي هيئة مدنية، لا تتبع بشكل مباشر لـ"هيئة تحرير الشام"، إلا أنها تعمل في مناطق نفوذها فقط.

وحاولت "هيئة تحرير الشام" إظهار قدرتها على الإدارة المدنية من خلال هذه التجارب، فقد أنشأت بداية الحكومة ومن ثم البلديات وصولًا إلى ما يسمى "المنظمات الفاعلة"، وفق ما يعتقد الدكتور حتاحت.

وبحسب الخبير في شؤون الحوكمة، لا تعتبر طريقة "الهيئة" في الحكم المدني "مثالية"، لأن الكوادر التي ضمتها لم تتدرب جيدًا على نظم وأدوات العمل المدني، بل شاءت بهم الأقدار أن يكونوا ضمن وضع استيلاء من القوى العسكرية، وأرادت هذه القوى إظهار قدرتها على العمل المدني.

ويرى حتاحت أن "تحرير الشام" تحتاج إلى كثير من العمق في ملف الحكم المدني، وفي انتقالها إلى حلب ستواجه مشكلات أبرزها اختلاف العقلية المجتمعية بين سكان مدينتي حلب وإدلب، فالأخيرة شهدت الكثير من الحروب في السنوات الأخيرة، واستطاعت "هيئة تحرير الشام" فرض واقع معيّن على منظومتها الشعبية.

وعاشت مدينة حلب سنوات في كنف النظام وتختلف عن إدلب، من حيث المساحة وطبيعة السكان، والمرجعية والأداء، وفق حتاحت.

ما أبعاد حل "هيئة تحرير الشام" نفسها

قائد "هيئة تحرير الشام"، "أبو محمد الجولاني" خلال تكريم مقاتلين في الفصيل – أيار 2024 (أمجاد)

عنب بلدي – حسن إبراهيم

تصدّر الحديث عن حل "هيئة تحرير الشام" نفسها، وهي صاحبة السيطرة العسكرية في إدلب، الواجهة الإعلامية، بالتزامن مع معارك قادتها إلى جانب فصائل المعارضة، انتزعت خلالها مناطق واسعة من سيطرة النظام السوري وحلفائه، وانتهت بسقوطه.

حل الفصيل جاء على لسان قائد "تحرير الشام"، "أبو محمد الجولاني"، بعد زيارته إلى مدينة حلب التي سيطرت عليها فصائل المعارضة خلال عملية "ردع العدوان"، ليعززه بحديث آخر بأن "الهيئة" جزء من الحوار السوري وقد "تتفكك في أي وقت".

كلام "الجولاني" كان مفاجئًا ومغايرًا على الأقل لمسار رسمه لنفسه وفصيله خلال السنوات، ومختلفًا عن انطباعات عنه بأنه "متفرد بالقرار" ويبحث عن "مجد شخصي"، ليفتح الباب أمام تساؤلات عن أبعاد حل الفصيل، وتوقيت ذلك.

حل وتفكيك

في 4 من كانون الأول الحالي، نشرت محللة الملف السوري في "مجموعة الأزمات الدولية" دارين خليفة، تصريحًا قاله "الجولاني" لـ"المجموعة"، جاء فيه أن "هيئة تحرير الشام" تفكر في حل نفسها من أجل تمكين ترسيخ البنى المدنية والعسكرية بشكل كامل في مؤسسات جديدة تعكس اتساع المجتمع السوري.

"تحرير الشام" أجابت عن أسئلة عنب بلدي حول ما نشرته "مجموعة الأزمات"، بأنه لا يوجد أي قرار من قبل القيادة حتى الآن بما يخص قرار الحل.

وخلال مقابلة لشبكة "CNN" الأمريكية، نشرت في 6 من كانون الأول، قال "الجولاني"، "نحن نتحدث عن مشروع أكبر، نتحدث عن بناء سوريا"، وأضاف أن "هيئة تحرير الشام" مجرد جزء من هذا الحوار، وقد تتفكك في أي وقت، وأنها ليست غاية في حد ذاتها، بل وسيلة لأداء مهمة، وهي مواجهة النظام السوري.

"تحرير الشام" هي واحدة من أبرز الفصائل المقاتلة في الشمال السوري، نشأت تحت مسمى "جبهة النصرة" في سوريا رسميًا في كانون الأول 2012، وهي فصيل تميّز بخروجه من رحم "القاعدة"، أبرز الفصائل "الجهادية" على الساحة العالمية، وأعلنت لاحقًا انفصالها عن أي تنظيم، واعتبرت نفسها قوة سورية محلية.

ولا تزال "تحرير الشام" مدرجة على لوائح "الإرهاب"، ولا يزال اسم "أبو محمد الجولاني" مُدرجًا ضمن المطلوبين لأمريكا، بمكافأة تصل إلى عشرة ملايين دولار أمريكي لمن يدلي بمعلومات عنه.

ما بعد إسقاط النظام

دارين خليفة، علّقت على تفكير "الهيئة" بحل نفسها (من أجل ترسيخ البنى المدنية والعسكرية)، بأنه بطبيعة الحال، سواء كانت " تحرير الشام" ستنفذ هذه الأفكار أم ستضغط على فصائل أخرى، "لا يزال يتعين علينا أن نرى ما إذا كان سيتم الامتثال أم لا".

من جانبه، قال "الجولاني" خلال مقابلة لشبكة "CNN"، يبقى هدف الثورة هو إسقاط هذا النظام، ومن الحق استخدام كل الوسائل المتاحة لتحقيق هذا الهدف، وإن بذور هزيمة النظام كانت موجودة دائمًا في داخله، لافتًا إلى أن إيران وروسيا حاولا إحياء النظام، ودعمه وشراء الوقت له، لكن الحقيقة تبقى أن "هذا النظام مات".

الباحث في الجماعات الجهادية والحركات الدينية عبد الرحمن الحاج، قال لعنب بلدي، إن "الجولاني" يلمح بالحديث عن حل الفصيل إلى مرحلة ما بعد إسقاط النظام، فقيام الدولة سيتطلب حصر السلاح بيدها، وإنهاء الميليشياوية والفصائلية، و"الجولاني" يدرك ذلك.

ويرى الحاج أن "الجولاني" بالفعل يتصور أن المسعى النهائي هو تشكيل دولة بالمعنى الحقيقي للكلمة، وهو في الوقت نفسه لا يريد تكرار تجربة "حزب الله" في لبنان.

وعن توقيت حل "تحرير الشام"، يعتقد الحاج أنه مرهون بتصور بناء الجيش، وكيفية دمج الفصائل لتكون جزءًا منه، ولهذا فإن "الجولاني" يتحدث بلغة نسبية، لكن من الواضح أن لديه تصورًا جيدًا عن بناء الدولة، ويعكس ذلك أيضًا وجود تصورات أولية عن شكل اليوم التالي.

ويرى الباحث أن جميع الفصائل سينتهي دورها مع إسقاط النظام، وإلا ستتحول إلى عبء، كما حصل في الحالة الأفغانية، مستبعدًا أن يكون لدى أي من الفصائل طموح لذلك.

وبدأت فصائل المعارضة عملية "ردع العدوان" في 27 من تشرين الثاني الماضي، وبعد وصولها إلى مدينة دمشق، في 8 من كانون الأول، انتشرت أنباء عن هروب بشار الأسد من الأراضي السورية، تبعها إعلان الفصائل نهاية حقبة حكم "البعث".

ونقلت وكالة "رويترز" عن مصدرين سوريين، أن هناك احتمالًا كبيرًا للغاية بأن يكون الأسد قُتل في تحطم طائرة، إذ لا يزال من غير المعروف سبب عودة الطائرة إلى مسارها المفاجئ، واختفائها عن الخريطة.

مطبات أزقت "تحرير الشام"

بالنسبة لإدراجها على قوائم "الإرهاب"، اعتبرت "تحرير الشام" عدة مرات أنه "تصنيف غير عادل"، منها إجابة المكتب الإعلامي لـ"الهيئة" في مراسلة إلكترونية عن أسئلة عنب بلدي حيال تجديد التصنيفات للفصيل، كانت من أستراليا في 17 من شباط 2022، بكونه فصيلًا "إرهابيًا".

واجهت "تحرير الشام" عدة مطبات خلال سيطرتها على إدلب، أبرزها أزمة ملف "العمالة والتواصل مع جهات داخلية وخارجية" الذي عصف في صفوف "الهيئة"، ورسم صراعًا بين تيارات الفصيل وملامح تفكك، اعتقل على إثرها الرجل الثاني في "الهيئة"، "أبو ماريا القحطاني"، وكبار قيادات الصف الأول، بدأت ملامحها في حزيران 2023.

وأسفرت عن انشقاق القيادي الثالث جهاد عيسى الشيخ (أبو أحمد زكور)، وكشف الأخير عن قضايا مسؤول عنها "الجولاني"، منها تفجيرات وتعاون مع استخبارات أجنبية.

هدأ الملف إعلاميًا، وبقي "الجولاني" وانشق "أبو أحمد زكور"، وقُتل "القحطاني" في 4 من نيسان الماضي، بحزام ناسف داخل مضافة في إحدى مزارع مدينة سرمدا، وذلك بعد شهر من الإفراج عنه عقب اعتقاله ستة أشهر، وتبرئته من "الهيئة".

في 13 من تشرين الثاني الماضي، نفذت حكومة "الإنقاذ" المظلة السياسية لـ"الهيئة" حكم القتل "حدًا للحرابة" بحق ثلاثة أشخاص متهمين بقُتل "أبو ماريا القحطاني".

ومنذ 26 من شباط الماضي، تواجه "تحرير الشام" حراكًا سلميًا ومظاهرات من مدنيين وناشطين وعسكريين وشرعيين، يطالبون بإسقاط "الجولاني"، ويرفضون سياسة احتكار القرار، والتفرد بالسلطة.

قوبل الحراك بوعود وإصلاحات واجتماعات مكثفة من "الجولاني" مع وجهاء ووزراء في حكومة "الإنقاذ" المظلة السياسية لـ"الهيئة"، اعتبرها البعض "غير مجدية"، ثم اعتقالات لبعض المتظاهرين، وفض خيمة اعتصام بالقوة، حتى تراجعت هذه المظاهرات منذ نحو شهر.

الأسد.. فشل النصر والهزيمة

عنب بلدي – حسن إبراهيم

طويت الصفحة الأخيرة من سوريا تحت حكم الأسد، بعد إعلان هرب بشار الأسد من الأراضي السورية، عقب وصول فصائل المعارضة إلى العاصمة دمشق، لتُرسم، في 8 من كانون الأول 2024، بداية مرحلة جديدة على أنقاض بلد استولى عليه حافظ الأسد عام 1971.

لفظ النظام أنفاسه الأخيرة، بعد تضييق الخناق عليه، ولم تسعفه محاولات الرمي بجميع أوراقه السياسية، واستنجاده بحلفائه ودول عربية وأوروبية، ليهرب إلى وجهة غير معلومة، مصطحبًا معه فشل "رواية النصر" التي لطالما روّج لها خلال سنوات حكمه.

وصول فصائل المعارضة إلى دمشق، جاء بعد إطلاق عملية "ردع العدوان" العسكرية، في 27 من تشرين الثاني الماضي، لتبدأ مرحلة السيطرة وانتزاع القرى والبلدات والمدن من قوات النظام وحلفائها، من حلب وحماة وحمص ودمشق، بينما تحركت فصائل محلية في الجنوب لتسيطر على السويداء من البحث عنه وعدم معرفة مصيره، وسط شكوك بتحطم الطائرة ومقتله، قالت روسيا إنه وصل إلى موسكو مع عائلته .

ومنحت روسيا الأسد وعائلته حق اللجوء لأسباب إنسانية، بحسب مصدر مقرب من الكرملين، نقلت عنه وكالة "ريانوفوستي" الروسية.

في هذا الوقت انتشرت العديد من المواقف لمؤيدين للأسد ومسؤولين بارزين تنتقده وتنتقد تسليمه الحكم وهربه، دون خطة للتسليم، ودون إخطار لآلاف المقاتلين الذين وجدوا أنفسهم دون قيادات في الشوارع.

جاءت عمليات المعارضة وهروب الأسد بعد 13 عامًا من الثورة السلمية التي انتقلت إلى العمل المسلح بعدما قابلها الأسد بالعنف، واستعان بروسيا وإيران لكبح تقدم المعارضة.

منذ عام 2011 قُتل في سوريا أكثر من231 ألف شخص بحسب "الشبكة السورية لحقوق الإنسان"، يعد النظام السوري مسؤولًا عن مقتل أكثر 86% منهم .

وكان 157 ألف شخص في عداد المختفين قسرًا، بينما قتل أكثر من 15 ألفًا تحت التعذيب، بحسب توثيق "الشبكة".

بينما هجر نحو 13 مليون سوري، داخليًا وخارجيًا، ويعيش أكثر من 90% منهم تحت خط الفقر، وسط انهيار اقتصادي وخدمي في سوريا البلد الغارق بالديون، بحسب الأمم المتحدة.

وسط هذه الانتهاكات، كان الأسد يركز دومًا على انتصاره في ما سمّاها "الحرب على الإرهاب"، ويتحدث عن تأهيل مؤسسات الدولة وفتح القنوات مع محيطه العربي والإقليمي.

الرمي بآخر "الكروت"

قبل حصار الفصائل وتطويق دمشق، قدم بشار الأسد عرضين غير مباشرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية من أجل البقاء على كرسي الحكم في سوريا، أو تأمين خروجه من سوريا.

العرض الأول قدمه الأسد إلى الرئيس المنتخب دونالد ترامب، وكان عبر الإمارات العربية المتحدة، وهو أن تقطع سوريا كل علاقاتها مع الجماعات المسلحة المدعومة من إيران، مثل "حزب الله"، إذا مارست القوى الغربية نفوذها لوقف القتال الحاصل على الأراضي السورية.

العرض الثاني جرى عبر إرسال الأسد زعيمًا مسيحيًا بارزًا للقاء الرئيس المجري، فيكتور أوربان، لنقل ما يراه "تهديدًا وجوديًا للأقلية المسيحية" في سوريا، في حال انتصر "المتمردون الإسلاميون"، والقصد كان أن ينقل أوربان هذا "الخطر" إلى حليفه ترامب. رجل الدين المسيحي هو بطريرك السريان الأرثوذكس، أغناطيوس أفرام الثاني، وذهب إلى المجر لنقل "مخاوفه"، في 2 من كانون الأول الحالي.

هذان العرضان مقابل استعداد الأسد للتوصل إلى اتفاق يسمح له بالاحتفاظ بالأرض المتبقية التي يسيطر عليها جيشه، أو ضمان مروره الآمن إلى المنفى إذا لزم الأمر، وفقًا لما نقلته وكالة الأنباء "بلومبيرغ" عن أشخاص دبلوماسيين ومطلعين في 7 من كانون الأول الحالي.

بالتزامن مع احتدام المعارك، لوّح الأسد بورقة الصحفي الأمريكي المعتقل في سجونه أوستن تايس، حيث قالت والدة تايس إن ابنها لا يزال على قيد الحياة، ناسبة المعلومة إلى "مصدر مهم"، قالت إنه جرى التحقق منه من قبل الحكومة الأمريكية، وفق ما ذكره موقع "المونيتور" (مقره في الولايات المتحدة)، في 6 من كانون الأول، بعد اجتماع مع مستشار الأمن القومي الأمريكي، جيك سوليفان.

ظهور معلومات عن تايس مؤخرًا، أرجعه محللون إلى أن الأسد حرّكها من أجل التفاوض على بقائه في السلطة أو وقف القتال على الأقل، خاصة بعد أن حاولت الإدارة الأمريكية قبل سنوات، التوصل لاتفاق من أجل الإفراج عنه، واستخدمت قنوات خلفية مع النظام السوري.

من الأب للابن.. كيف بدأت القصة؟

استولت عائلة الأسد على سوريا بعد انقلاب عسكري عام 1970، وأصبح حافظ الأسد رئيسًا في عام 1971، وأنشأ منظومة حكم استبدادية شمولية، تعتمد على القبضة الأمنية، وتركيبة تشبه نظام الحزب الواحد.

ارتكب حافظ الأسد وشقيقه رفعت مجازر في حماة وحلب، وكان حافظ "القائد الأوحد" للبلاد، وشهد عهده تراجعًا علميًا واقتصاديًا كبيرًا ولم ينجح باستعادة الجولان.

في حزيران عام 2000، توفي حافظ الأسد، ووصل بشار إلى الحكم بعد تعديل الدستور السوري خلال أقل من ساعة من قبل مجلس الشعب، حين خفض سن الأهلية للرئاسة من 40 إلى 34 ليتناسب مع عمره آنذاك.

كما أصبح عضوًا في القيادة القطرية لحزب "البعث" الحاكم في سوريا خلال أسابيع، والذي كان شرطًا آخر لتولي الرئاسة في سوريا.

لم يكن بشار مُعدًّا للرئاسة منذ صغره كونه الابن الثاني لحافظ، لكن وفاة أخيه الأكبر باسل في حادث سير 1994، فتح الباب أمامه، إذ لم يبقَ أمام حافظ سواه، لإعداده للرئاسة.

أعيد انتخابه في أعوام 2007، و2014، و2021، رغم احتجاجات وثورة شعبية بدأت ضد حكمه في آذار 2011، وطالبت بالإصلاح والحرية والتغيير السياسي والرحيل.

قابل بشار الأسد المظاهرات بالحديد والنار والرصاص الحي والاعتقالات والاعتداءات، واستخدم الحل العسكري، واستعان بحلفائه إيران و"حزب الله"، تبع ذلك تدخل عسكري روسي في 2015، وقتل آلاف المدنيين وتشريد الملايين داخل وخارج سوريا.

طوال عقود، استمد النظام السوري قوته وقدرته في الحفاظ على السلطة من السيطرة الكاملة على المؤسسة العسكرية والأمنية، وبناء دولة شمولية، وإقصاء القوى المعارضة له.

وعمل على تعميق التحالف مع إيران وروسيا، وفهم سياسات الاستقرار الأمني في الإقليم بالنسبة للولايات المتحدة وإسرائيل، وغير ذلك من العوامل المحلية والدولية.

صعود بالرتب

ولد بشار الأسد بمحافظة دمشق في 11 من أيلول 1965، وهو الابن الثالث لحافظ الأسد بعد بشرى وباسل. درس في كلية الطب بجامعة "دمشق" وتخرج فيها عام 1988، وتطوّع في الجيش والقوات المسلحة بإدارة الخدمات الطبية، اعتبارًا من 1 أيلول 1985. تخرّج برتبة ملازم أول تحت الاختبار في 6 من آب 1988، ثم عمل في طب العيون بمستشفى "تشرين" العسكري عام 1992، وسافر بعدها إلى لندن حيث تابع اختصاصه هناك حتى عام 1994.

وبعد وفاة أخيه الأكبر عاد بشار إلى دمشق ليخضع لعملية تأهيل مكثفة، حيث عُيّن رئيسًا لمجلس إدارة الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية التي تقود النشاط المعلوماتي في سوريا عما 1994، ورُفّع إلى رتبة نقيب (تموز 1994)، ثم إلى رائد (تموز 1995)، ثم إلى مقدم (1997)، ثم إلى عقيد (كانون الثاني 1999)، وتسلم في هذه الأثناء العديد من الملفات، أبرزها الملف اللبناني، وفق موقع "مع العدالة".

انتهاء حقبة آل الأسد

انتهت حقبة آل الأسد بعد 53 عامًا من استيلائهم على الحكم، وارتكاب مجازر بحق السوريين، حيث وثقت "الشبكة السورية لحقوق الإنسان" مقتل 231278 مدنيًا، بينهم 15334 بسبب التعذيب، واعتقال تعسفي (إخفاء قسري) لـ156757 شخصًا، وتشريد قرابة 14 مليون شخص، على يد أطراف النزاع والقوى المسيطرة في سوريا منذ آذار 2011 حتى آذار 2024.

ومن أصل الحصيلة، قتلت قوات النظام السوري 201260 شخصًا، فيما قتلت القوات الروسية 6969 شخصًا.

ويعتبر بشار الأسد المسؤول الأول والمباشر عما حدث من انتهاكات بحق السوريين، باعتبار تبوئه منصبي رئيس الجمهورية والقائد العام للجيش والقوات المسلحة، وباعتبار تبعية الأجهزة الأمنية والميليشيات وفرق الدفاع الوطني له، وبحكم توليه صلاحيات واسعة وفق الدستور السوري، بحسب موقع "مع العدالة".

في 8 من كانون الأول، قالت "إدارة العمليات العسكرية" المسؤولة عن المعارك ضد النظام السوري السابق، "بعد 50 عامًا من القهر تحت حكم البعث، و13 عامًا من الإجرام والطغيان والتهجير، وبعد كفاح ونضال طويل ومواجهة كافة أشكال قوى الاحتلال، نعلن اليوم في 8 من كانون الأول 2024 نهاية هذه الحقبة المظلمة وبداية عهد جديد لسوريا".

دكتاتور بعاهات

عبر كتابه "الأسد أو نحرق البلد"، رسم الكاتب الأمريكي سام داغر صورة نفسية لبشار الأسد، فهو دكتاتور عانى في البداية من عُقَد وعاهات، حاول فيما بعد التعويض عنها من خلال إظهار رجولة مبالغ فيها، عبر القسوة والتهكم.

وعرّى داغر الصورة الكاذبة التي يروق للأسد أن يظهر بها، أي صورة الطبيب العصري، المنفتح التفكير والتقدمي، والذي انتهى به المطاف بطريق الخطأ في عالم السياسة.

واعتبر داغر في كتابه أن الأسد كان على استعداد لقتل مئات الآلاف من الشعب السوري للبقاء على كرسي السلطة وقبل ظهور تنظيم "الدولة الإسلامية".

ويربط الكاتب بين القمع الكبير الذي مارسه النظام صد السوريين، وإطلاقه سراح مئات الإسلاميين من السجون بحسب الكتاب، كما نقل الكاتب عن مصادر من داخل النظام، أن الأسد أمر ضباطه بالتخلي عن نقاط حدودية مع صعود تنظيم "الدولة"، كما يتهم الكاتب الأسد بقتل صهره آصف شوكت.

"الجولاني".. من التشدد إلى الاعتدال

عنب بلدي – حسن إبراهيم

بعد سنوات من اعتماد لقب الأخ، والشيخ، وقائد المناطق المحررة، استقر "أبو محمد الجولاني" على اسمه الصريح "القائد أحمد الشرع" عقب عملية "ردع العدوان" التي أطلقها فصيله "هيئة تحرير الشام" إلى جانب فصائل معارضة ضد قوات النظام.
المعركة التي وصلت بها الفصائل إلى دمشق، وأدت إلى هروب بشار الأسد، حملت في طياتها تغييرات جديدة على اسم وشخصية أحمد الشرع، الذي وصفته صحيفة "بيلد" الألمانية، بأنه "الرجل الذي يرتعد منه الأسد".
لطالما عُرف "الجولاني" بتغييرات جعلته حالة فريدة في عالم "الجهاد" الذي انطلق منه، وتحول خلال السنوات من عدم الظهور إلى العلن، ومن العمامة إلى دونها، ومن اللباس العسكري إلى المدني، ومن الخطاب المتشدد إلى الاعتدال.
الرجل الذي بدأ مسيرته في عالم "التنظيمات والجهاد"، وصل اليوم إلى دمشق على أنقاض فلول بشار الأسد، ليتصدر المشهد، ويلقي، في 8 من كانون الأول، خطاب النصر من داخل المسجد "الأموي" في العاصمة.
القيادي المنشق عن "تحرير الشام"، جهاد عيسى الشيخ، تحدث سابقًا لعنب بلدي حول تفرد "الجولاني" بوضع استراتيجيات "الهيئة" وتغيير خطابها وتواصلاتها مع الجهات الخارجية، ومن يشاركه في هذه العملية، واصفًا "الجولاني" بأنه "القائد الأوحد".

من أحمد الشرع؟

ينحدر أحمد حسين الشرع (أبو محمد الجولاني) من منطقة الجولان غربي سوريا، لكنه ولد في الرياض بالمملكة العربية السعودية عام 1982، وعاد إلى سوريا بداية عام 1989.
نشأ وسكن في حي المزة بدمشق في منطقة فيلات شرقية، وكانت ميوله الإسلامية تكاد تكون معدومة، تأثر بالانتفاضة الفلسطينية في عامي 1999 و2000، ونصحه أحدهم بالذهاب إلى المسجد والصلاة فيه والالتزام بالصلاة في المسجد، وفق ما قاله "الجولاني" في مقابلة له.

بدأ من "القاعدة"

ذهب إلى العراق بعد الغزو الأمريكي عام 2003، وترقى في صفوف تنظيم "القاعدة" بالعراق، ويُقال إنه أصبح مساعدًا مقربًا لزعيمه "أبو مصعب الزرقاوي".
اعتقله الجيش الأمريكي واحتجز في معسكر "بوكا"، وبعد إطلاق سراحه عام 2008، عمل مع "أبو بكر البغدادي"، زعيم "دولة العراق الإسلامية" حينها (قبل مقتله)، ثم عُيّن رئيسًا لجهاز الاستخبارات الباكستاني في محافظة نينوى.

عاد "الجولاني" إلى سوريا عام 2011، وأسس "جبهة النصرة" كمجموعة فرعية من تنظيم "الدولة".
عام 2013، رفض تعليمات "البغدادي" بحل "النصرة" كجماعة مستقلة وجعلها جزءًا من تنظيم "الدولة"، وتعهد بالولاء لتنظيم "القاعدة" وزعيمها حينذاك "أيمن الظواهري".
أدرجته الولايات المتحدة على قائمة "الإرهابيين" في أيار 2013، على أنه "إرهابي عالمي محدد بشكل خاص".

انفصل عن التنظيم

عام 2016، أعلن "الجولاني" أن "النصرة" غيرت اسمها إلى "جبهة فتح الشام" وقطعت صلاتها بتنظيم "القاعدة".
قطع العلاقات لم يكن مقبولًا من المجتمع الدولي، وفي أيار 2017، عرض مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI) مكافأة قدرها 10 ملايين دولار مقابل معلومات تؤدي إلى تحديد هويته أو موقعه.
أوائل عام 2017، أعلنت "جبهة فتح الشام" عن تشكيل "هيئة تحرير الشام"، وهو تحالف بينها وبين الجماعات الجهادية الأخرى مثل "جبهة أنصار الدين"، و"جيش السنة"، و"لواء الحق"، وحركة "نور الدين الزنكي"، وضمت لاحقًا المزيد من الفصائل والجماعات.
في تشرين الأول 2017، تم قبول استقالة هاشم الشيخ (أبو جابر) من مسؤوليته كقائد عام لـ"الهيئة"، وتكليف "الجولاني" بتسيير أمور الفصيل.

فكك حركات "الجهاديين"

مع أي استهداف للتحالف الدولي للتنظيمات الجهادية في إدلب، تتجه أصابع الاتهام نحو " الجولاني"، خاصة أنه مطلوب.
وتُتهم "تحرير الشام" بأنها تقف خلف هذه العمليات، وأنها تعطي معلومات استخباراتية للتحالف الدولي للخلاص من "الجهاديين"، رغم نفي "الهيئة" وجود سياسة ممنهجة تجاه المهاجرين "الأجانب" بشكل عام.

في شباط 2022، كان لافتًا تأخر تعليق "تحرير الشام" على عملية إنزال جوية أمريكية شمالي إدلب، استهدفت قائد تنظيم "الدولة"عبد الله قرداش، الملقب بـ"أبو ابراهيم الهاشمي القرشي"، و13 شخصًا على الأقل بينهم ستة أطفال وأربع نساء.
بعد أربعة أيام، قالت "الهيئة" إنها تدين وتستنكر مقتل المدنيين، ونفت معرفتها بعملية الإنزال قبل حدوثها.
وفي 3 من آب 2023، اتهم تنظيم "الدولة"، "تحرير الشام" بقتل زعيم التنظيم "أبو الحسين الحسيني القرشي"، وذكر أن "الهيئة" سلمت "أبو الحسين" إلى الحكومة التركية "قربان وفاء وولاء" إلى الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، لتمنحه إنجازًا في حملته الانتخابية.

العمر يلعب دوره

خلال الأيام الماضية، خرجت تعميمات حملت رسائل "طمأنة" للداخل والخارج، وهو ما عكس تغييرًا في سلوك "الهيئة"، خاصة مع بياناتها الموجهة إلى الأقليات والطوائف، والتعليمات بعدم الإيذاء والتعدي لأسباب عرقية ومذهبية.
اللهجة كانت مغايرة تمامًا لما قاله "الجولاني" عام 2015، إذ أكد حينها حماية القرى الدرزية والمسيحية في ريف إدلب، وإرسال دعاة إسلاميين إلى قراهم لتوضيح أخطائهم، بحسب تعبيره، ورأى أن "النصارى" سيخضعون لـ"الحكم الإسلامي" في حال أقيم نظام إسلامي في سوريا، متعهدًا بحمايتهم.
في كانون الأول الحالي، خلال مقابلة له مع شبكة "CNN"، عزا "الجولاني"، التغييرات التي مرّت بها شخصيته، خلال السنوات الماضية بدءًا بتنظيم "القاعدة"، ووصولًا لمحاولات الاعتدال، إلى عامل السن.
وقال إن "الشخص في العشرينيات من عمره ستكون له شخصية مختلفة عن شخص في الثلاثينيات أو الأربعينيات من عمره، وبالتأكيد شخص في الخمسينيات من عمره، هذه هي الطبيعة البشرية".

إسرائيل تتوغل برًا في الجنوب.. وتضرب جوًا في دمشق

عنب بلدي – خاص

تتجه الأنظار بعد سقوط النظام السوري، إلى المخاوف من استثمار إسرائيل للفوضى التي خلفها سقوط النظام، وهو ما بدأت تترجمه على الأرض في الجنوب السوري.

وأصدر رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، أوامر باحتلال المنطقة العازلة مع سوريا، ومواقع قيادة عسكرية داخل الأراضي السورية.

ونشر المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي للإعلام العربي، أفيخاي أدرعي، الأحد 8 من كانون الأول، تحذيرًا لسكان عدة قرى وبلدات في القنيطرة، لالتزام منازلهم.

وقال أدرعي إن على السكان في قرى وبلدات أوفانية، القنيطرة، الحميدية، الصمدانية الغربية، القحطانية، جنوبي سوريا، التزام منازلهم للحفاظ على سلامتهم.

وأضاف، "القتال داخل منطقتكم يجبر جيش الدفاع على التحرك ولا ننوي المساس بكم، من أجل سلامتكم عليكم البقاء في منازلكم وعدم الخروج حتى إشعار آخر".

ونقلت "القناة 14" الإسرائيلية عن نتنياهو، الأحد 8 من كانون الأول، قوله، "بالتعاون مع وزير الدفاع، وبدعم كامل من مجلس الوزراء، أصدرت بالأمس تعليماتي للجيش بالاستيلاء على المنطقة العازلة ومواقع القيادة المجاورة لها. ولن نسمح لأي قوة معادية أن تستقر على حدودنا".

وجاء حديث نتنياهو خلال زيارته للحدود مع سوريا، برفقة وزير الدفاع، يسرائيل كاتس، معتبرًا أن "الوضع الجديد فيه فرص مهمة جدًا ومخاطر أيضًا".

ولم يحدد نتنياهو المناطق التي احتلتها إسرائيل داخل الأراضي السورية.

وتزامن احتلال إسرائيل لأراضٍ جنوبي سوريا مع ضربات جوية نفذتها طائرات إسرائيلية جنوبي سوريا، وقال موقع "درعا 24" المتخصص برصد أخبار درعا، إن الطيران الإسرائيلي شن غارات مكثفة على مواقع عسكرية سابقة في محافظتي درعا والقنيطرة.

واستهدف الضربات مواقع مختلفة في درعا منها مدن وبلدات إزرع، والصنمين، والشيخ مسكين، وحوض اليرموك، ولا يزال الطيران يحلق في الأجواء حتى اللحظة.

كما رصدت عنب بلدي ضربات إسرائيلية في محيط دمشق، ومطار المزة العسكري، وريف حمص الشرقي، الاثنين 9 من كانون الأول.

وقال ناشطون من الجنوب السوري، بينهم مدير "مكتب توثيق الشهداء في درعا" عمر الحريري، إن الوحدات الإسرائيلي سيطرت على تلال حاكمة داخل سوريا، أبرزها الحارة، بعد السيطرة على الجانب السوري من جبل الشيخ.

ومنذ تشرين الأول 2023، استنفرت الوحدات الإسرائيلية على الحدود مع سوريا تزامنًا مع حرب إسرائيل على غزة، وتصاعدت وتيرة الاستنفار تزامنًا تمدد الحرب باتجاه "حزب الله" اللبناني، الموالي لإيران.

وبنت إسرائيل تعزيزات عسكرية على الحدود مع سوريا، لكن عمليات تعزيز الحدود من جانب إسرائيل سبقها بنحو عامين توغلات إسرائيلية متكررة في القنيطرة السورية.

وفي تشرين الثاني الماضي، أظهر تحليل نشرته وكالة "أسوشيتد برس" الأمريكية لصور أقمار صناعية بدء إسرائيل في مشروع بناء وتعبيد طريق على طول خط "ألفا" الفاصل بين مرتفعات الجولان المحتلة من قبل إسرائيل والأراضي السورية في القنيطرة.

خرق لاتفاق "فض الاشتباك"

في عام 1974، تم التوصل بإشراف الأمم المتحدة والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، لاتفاق بين الجانبين الإسرائيلي والسوري، يقضي برسم خط فك الاشتباك بين الجانبين، وشملت تفاصيل لتحديد مواقع القوات العسكرية لسوريا وإسرائيل على طول خطي "A" و"B". يطلق اسم "برافو" على الخط "B" و"ألفا" على الخط "A"، ونصت الاتفاقية على فصل القوات وفق المبادئ التالية:

تظل جميع القوات الإسرائيلية غرب الخط "A" المحدد على الخريطة، باستثناء منطقة القنيطرة التي تظل غرب الخط "A1".

تُدار جميع الأراضي الواقعة شرق الخط "A" من قبل السلطات السورية، ويسمح بعودة المدنيين السوريين إلى هذه المناطق.

المنطقة العازلة: تقع بين الخطين "A" و"B"، وهي منطقة فاصلة بين القوات الإسرائيلية والسورية، على أن تُشرف عليها قوة مراقبة فض الاشتباك التابعة للأمم المتحدة (UNDOF).

تتمركز القوات السورية شرق الخط "B"، حيث تحتفظ بقوات محدودة في هذه المنطقة.

تلتزم كل من سوريا وإسرائيل بتقليل القوات والتسليح في مناطق محددة على جانبي خطي "A" و"B".

ملاحقة الكيماوي

بدأت الولايات المتحدة العمل على تدمير الأسلحة الكيماوية المتبقية في سوريا، تزامنًا مع غارات إسرائيلية طالت مواقع متفرقة جنوبي سوريا و وسطها.

ونقل موقع"إكسيوس" الأمريكي عن مسؤولين أمريكيين، الاثنين 9 من كانون الأول، أن واشنطن تعمل مع عدة دول أخرى في الشرق الأوسط لمنع وقوع الأسلحة الكيماوية التي يمتلكها النظام السابق "في الأيدي الخطأ".

وأضاف المسؤولون أن الولايات المتحدة وحلفاؤها يشعرون بالقلق من أن انهيار جيش النظام وقوات الأمن الأخرى، وأن انتشار الفوضى سيسمح لـ"الجماعات الإرهابية" بالاستيلاء على أسلحة خطيرة كانت بحوزة النظام.

"إكسيوس" ذكر أنه على مدى الـ48 ساعة الماضية، نفذت القوات الجوية الإسرائيلية غارات جوية ضد العشرات من القواعد العسكرية السورية ومستودعات الأسلحة والمرافق التي كانت جزءًا من برامج الأسلحة الكيميائية والصواريخ الباليستية السورية، بحسب ما نقله عن مسؤولين إسرائيليين، لم يسمّهم.

ونقل الموقع الأمريكي عن أحد المسؤولين الإسرائيليين قوله، "تقع على عاتقنا مسؤولية التأكد من عدم وقوع أنظمة أسلحة استراتيجية في الأيدي الخطأ".

وأضاف أيضًا نقلًا عن مسؤول أمريكي آخر لم يسمّه، أن إدارة بايدن ركزت في الأيام الماضية على الأسلحة الكيماوية السورية.

وقال المسؤول إن الولايات المتحدة لديها "معلومات جيدة" عن حالة مخزون الأسلحة السورية وإن خبراء الاستخبارات الأميركية يعتقدون أنها لا تزال تحت السيطرة.

وأضاف، "نحن نتخذ تدابير حذرة للغاية في هذا الشأن (...) نحن نفعل كل ما في وسعنا لضمان عدم وصول هذه المواد إلى أي شخص والاعتناء بها".

ولم تعلّق المعارضة السورية التي تولت زمام الأمور في سوريا على الضربات الإسرائيلية حتى لحظة تحرير هذا الخبر.

ومنذ الإعلان عن انتهاء عهد نظام عائلة الأسد في سوريا، لم تتوقف الغارات الإسرائيلية على مناطق متفرقة من المنطقة الجنوبية، وصولًا للعاصمة دمشق.

وتزامنت هذه الضربات مع أوامر أصدرها رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، قضت باحتلال المنطقة العازلة مع سوريا، ومواقع قيادة عسكرية داخل الأراضي السورية.

ونقلت "القناة 14" الإسرائيلية عن نتنياهو، الأحد، قوله، "بالتعاون مع وزير الدفاع، وبدعم كامل من مجلس الوزراء، أصدرت بالأمس تعليماتي للجيش بالاستيلاء على المنطقة العازلة ومواقع القيادة المجاورة لها. ولن نسمح لأي قوة معادية أن تستقر على حدودنا".

التحركات الإسرائيلية انطلقت بعد مرور ساعات على سقوط النظام، وسيطرة فصائل المعارضة المسلحة على العاصمة السورية دمشق، معلنة عن انهيار نظام الأسد.

تدمير مطار المزة

شنت الطائرات الإسرائيلية غارات متتالية على مطار المزة العسكري غربي العاصمة دمشق، في الساعات اللاحقة لسقوط النظام السوري.

وأفاد مراسلو عنب بلدي من دمشق وثلاثة مصادر محلية، الاثنين 9 من كانون الأول، أن القصف على مطار المزة لا يزال مستمرًا.

ورجحت مصادر محلية أن يكون القصف يستهدف مستودعات أسلحة نظرًا للانفجارات التي يخلفها.

وأظهر تسجيل مصور حدوث عدة انفجارات في مكان الضربات الإسرائيلية، الأحد 8 من كانون الأول.

وكانت إسرائيل شنت ضربات جوية داخل الأراضي السورية بعد ساعات من سقوط نظام بشار الأسد وفراره من البلاد، وتزامنت الضربات مع توغل إسرائيلي والسيطرة على مواقع أبرزها جبل الشيخ.

ويقع مطار المزة في الجهة الغربية من العاصمة دمشق، ويحده من الشمال منطقة المزة وأحياؤها السكنية وسلسلة جبلية عرفت محليًا بجبال "الفرقة الرابعة" التي كان يقودها ماهر الأسد شقيق بشار، لتمركز قطعات عسكرية تابعة للفرقة عليها.

ومن الشرق حي كفرسوسة، ومن الجنوب مدينة داريا، ومن الغرب مدينة معضمية الشام والجبال التابعة لها.

وكانت إدارة المخابرات الجوية تملك معتقلات وفرعي تحقيقي (جديد وقديم) للسوريين داخل المطار.

يعد مطار المزة من أكبر المطارات العسكرية في ترسانة النظام السوري، وهو مخصص فقط للطائرات المروحية.

شكل سابقًا نقطة أساسية ومنطلقًا لهجوم قوات الأسد على المناطق المحيطة كمدينة داريا والمعضمية سابقًا.

تتمركز فيه قوات من الفرقة الرابعة والمخابرات الجوية، والتي استهدفت في السنوات الأولى للثورة السورية منه أحياء الغوطة الشرقية ودمشق الجنوبية والغربية.

كما استخدم كمعتقل ومكان للتحقيق والتعذيب، ويعتبر من المعاقل الأبرز لدى النظام السوري بعد سجني تدمر وصيدنايا.

يعتبر بمثابة الرئة للنظام في العاصمة دمشق وريفها الغربي، ويضم بداخله فرقًا عسكرية وأمنية ومخابراتية متعددة منها: المخابرات الجوية، والدفاع الجوي، وسرية المهام الخاصة التابعة للمخابرات الجوية.

يبعد المطار عن مركز العاصمة حوالي خمسة كيلومترات، وتنطلق منه مروحيات فقط، دون مدرج للطيران الحربي.

وفي تقرير لوكالة "رويترز" عام 2013 قالت إنه يستخدم من قبل "الحرس الجمهوري"، "القوات الخاصة"، و"المخابرات الجوية"، ويخدم أيضًا كمطار خاص لعائلة الأسد.

رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو يطلق عملية من الجولان المحتل داخل الأراضي السورية – 8 من كانون الأول 2024 (قناة 14/ كوبي جدعون)

عنب بلدي
ملف العدد 668
الأحد 09 كانون الأول 2024

إعداد:
حسام المحمود
هاني كرزي
علي درويش

قبول غربي تعززه رسائل طمأنة من "الشرع"

الثورة تفرض انتصارها عربيًا ودوليًا

مقاتل من المعارضة السورية يدوس على تمثال حافظ الأسد في دمشق – 8 كانون الأول 2024 (AFP)

سوريا حرة، وحرة بالكامل، واقعًا لا شعارات وآمالًا ثورية ظلّت حبيسة ساحات التظاهر والبيانات، وحرقة في صدور أمهات المعتقلين والقتلى، لأكثر من 13 عامًا، فتحررت من المتاريس والبراميل والمجازر والقصف العشوائي للنظام، ومن الاعتقال، والإبعاد، وزج الشباب وقودًا لبقاء الأسد، وتحررت من المساومة على لاجئيها، وأهلها المتروكين لخيام نُصبت في العراء.

تحررت سوريا من قلق مجلس الأمن، والأمين العام للأمم المتحدة، ومن تحذيرات مبعوثه حول هجمات النظام على مناطق "خفض التصعيد"، تحررت من "خفض التصعيد" نفسه، ومن الخوف من الجدران، والتقارير الكيدية، ومن المعتقلات والزنازين والتشبيح باسم الوطنية.

جاء فجر الأحد، 8 من كانون الاول 2024، مغايرًا عن كل ما سبقه طيلة نحو 54 عامًا، حكم حافظ الأسد 30 منها، ليعتلي ابنه بشار السلطة عام 2000 بلا انتخابات، ويواصل الحكم منذ ذلك الحين دون عملية دستورية حقيقية تصون إرادة الإنسان الحر في بلده، وصولًا إلى 2011 حين قامت الثورة، وواصل السوريون مشوارًا طويلًا كلّف الغالي والأغلى، بالقتلى والمعتقلين، والغارقين في البحر على شرف اللجوء، في وقت نثر فيه الأسد المخلوع ميليشيات أجنبية وطائفية تحارب لبقاء عرشه الزائل، واستعان بطيران روسيا، و"الحرس الثوري الإيراني"، وجنّد الشعب ضد الشعب، والجيش ضد أهله، تجسيدًا لقناعته بالبقاء إلى الأبد، هذه القناعة التي حوّلها السوريون إلى وهم زائل، قبل ساعات، حين علت الحناجر بما أخفت الصدور، وهلل السوريون لرحيله في قلب العاصمة دمشق، التي فرّ منها بلا بيان اعتذار للشعب أو شكر لمقاتليه أو توضيح على الأقل، فسقط بصمت، ومضى بصمت، كما تذهب الأوبئة إثر تطويقها.

في هذه المساحة، تتناول عنب بلدي الحدث الأبرز في تاريخ سوريا والسوريين لعقود، رحيل عائلة الأسد وزوال حكمها، فتسلط الضوء على أيام بشار الأخيرة قبل الهروب، والطريقة التي تعاملت بها الدول مع الحدث، مستندة إلى آراء محليين وباحثين سياسيين متخصصين.

الأسد المخلوع في آخر أيامه

لم تعصم الأيام الأخيرة وتحركاتها بشار الأسد من تقدم متسارع من قبل "إدارة العمليات العسكرية" لفصائل المعارضة السورية المشاركة في عملية "ردع العدوان"، التي كان غرضها وقف قصف النظام على الشمال السوري، وإعادة المهجرين من الخيام إلى منازلهم.

فالاتصال برئيس الإمارات، والحصول على رسائل تضامن ودعم، والاتصال برئيس حكومة العراق، ولقاء وزير خارجية إيران في دمشق، ولقاء وزراء خارجية إيران وسوريا والعراق، ثم لقاء وزراء خارجية دول مسار "أستانة" (تركيا وروسيا وإيران) في الدوحة، كلها نشاطات دبلوماسية كانت تحصل بالتزامن مع تقدم المعارضة واستعادتها مساحات واسعة وتحريرها وإطلاق سراح المعتقلين فيها، قبل الانتقال إلى خطوة جديدة تقرّب الثائرين من المحطة الأخيرة، دمشق.

ومع خسارة النظام محافظات الجنوب، وتقدم الفصائل في حمص، والتوجه لحصار دمشق، على وقع بيانات رنانة لوزارة الدفاع في حكومة النظام، تكذّب الحقيقة الملموسة للسوريين، وصل الأسد إلى الحلقة الأخيرة في حكمه فجر الأحد، حين غادر العاصمة إلى جهة غير معلومة، لتعلن "إدارة العمليات العسكرية" لفصائل المعارضة السورية هروب الأسد، في وقت لاحق، بالتزامن مع إعلانها دمشق حرّة من حكمه داعية السوريين في جميع أنحاء العالم للعودة إلى سوريا الحرة.

وقالت "إدارة العمليات العسكرية"، "بعد 50 عامًا من القهر تحت حكم البعث، و13 عامًا من الإجرام والطغيان والتهجير، وبعد كفاح ونضال طويل ومواجهة كافة أشكال قوى الاحتلال، نعلن اليوم في 8-12-2024 نهاية هذه الحقبة المظلمة وبداية عهد جديد لسوريا".

وتجري حاليًا عملية بحث نشطة عن الأسد المخلوع، حيث تستجوب فصائل المعارضة السورية بعد سيطرتها على دمشق، وإنهاء حكم الأسد رسميًا، ضباطًا عسكريين ومسؤولين في الاستخبارات قد يكونون على علم بتحركات الأسد، وفق ما نقلته شبكة "CNN" عن مصدر وصفته بـ"المطلع".

موقع "أكسيوس" الأمريكي، قال إن طائرة من طراز "إليوشن 76"، يشتبه في أنها كانت تحمل الأسد، غادرت مطار "دمشق"، قبل وقت قصير من دخول المعارضة.

واتجهت الطائرة إلى الشمال الغربي ثم انعطفت قرب مدينة حمص، وخفضت ارتفاعها بسرعة قبل أن تختفي.

الطائرة حلقت بداية نحو منطقة الساحل السوري، لكنها غيرت مسارها قبل أن تختفي بشكل مفاجئ، وحلقت في الاتجاه المعاكس لبضع دقائق، قبل أن تختفي عن الخريطة.

ونقلت وكالة "رويترز" عن مصدرين سوريين، أن هناك احتمالًا كبيرًا للغاية بأن يكون الأسد قُتل في تحطم طائرة، إذ لا يزال من غير المعروف سبب عودة الطائرة إلى مسارها المفاجئ، واختفائها عن الخريطة.

مصدر آخر قال للوكالة، إن الطائرة اختفت عن الرادار، وربما جرى إغلاق جهاز الإرسال والاستقبال الخاص بها، لكن الاحتمال الأكبر أنها سقطت.

وبعد هروب الأسد، قال رئيس الحكومة السورية، محمد غازي الجلالي، في تسجيل مصور من منزله، إنه سيكون في مقر عمله برئاسة الوزراء مستعدًا لتسليم مقر الحكومة.

من جهتها، قالت "إدارة العمليات العسكرية"، في بيان وجهته إلى جميع القوات العسكرية في مدينة دمشق، إنه يمنع منعًا باتًا الاقتراب من المؤسسات العامة، التي ستظل تحت إشراف رئيس الوزراء السابق حتى يتم تسليمها رسميًا، كما يمنع إطلاق الرصاص في الهواء.

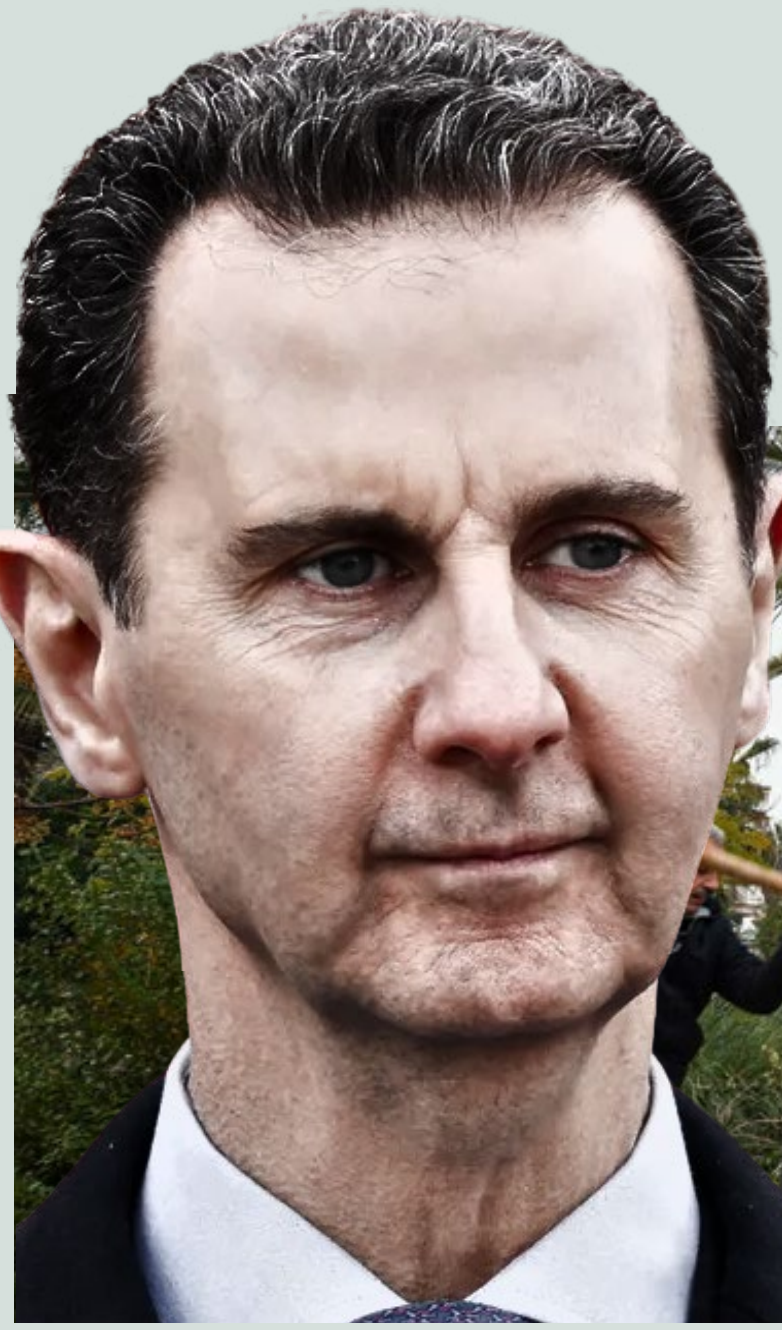

سوريون يحطمون تمثالًا للرئيس السابق حافظ الأسد في دمشق – 8 كانون الأول 2024 (AFP)

"أبو محمد الجولاني" قائد "هيئة تحرير الشام" في مدينة حلب بعد السيطرة عليها – 4 كانون الأول 2024 (إدارة العمليات العسكرية)

دوليًا.. كيف تلقى العالم سقوط الأسد

يتجلى الموقف الدولي من مشهد التغيير الكبير في سوريا بإفصاح واشنطن عدم رغبتها بإفادة النظام، وإعلان روسيا أنها لا تستطيع حمايته طالما أنه لم يدافع عن نفسه.

ويبدو أن ما حصل كان بمثابة تطبيق عملي لمرحلة قطع الطريق بين طهران وبيروت، مع الإشارة إلى أن إسرائيل تحاول تأمين "الجغرافيا الإسرائيلية"، وفق ما بدأ في غزة وتابع في لبنان، ويستكمل في سوريا، وفق وصف الخبير في معهد "ستيمسون" عامر السبايلة.

واليوم، الأحد، أعلنت إسرائيل نشر قوات في المنطقة الفاصلة العازلة وفي عدة نقاط دفاعية ضرورية لما قالت إنه "ضمان أمن سكان بلدات هضبة الجولان ومواطني دولة إسرائيل".

المتحدث باسم الجيش، أفيخاي أدرعي، قال إن الجيش الإسرائيلي لا يتدخل بالأحداث الواقعة في سوريا، مشيرًا إلى أن هذه الخطوة اتخذت في ضوء التطورات في سوريا وإمكانية دخول "مسلحين" إلى المنطقة الفاصلة العازلة بين سوريا والجولان المحتل.

وفي قراءة للتطورات السريعة التي حصلت منذ 27 من تشرين الثاني الماضي، وصولًا إلى اليوم الأحد، اعتبر اللواء السعودي المتقاعد والباحث في الدراسات الاستراتيجية والأمنية عبد الله بن غانم القحطاني، أن الولايات المتحدة هي المظلة الكبرى لكل ما جرى تخطيطه وتنفيذه في سوريا، عبر تفاهمات وتوافقات تركية- روسية مهمة لتغيير الواقع السياسي والأمني في سوريا، باعتبار أن الأنظار التركية والروسية تتجه للمكاسب في مرحلة حكم الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، وفق ما ذكره عبر "إكس".

القحطاني قال أيضًا إن ترامب هو من أسقط الأسد وأقنع بوتين بالتخلي عنه، منهيًا مرحلة طويلة من الحكم البعثي والعبثي في دمشق، ما سيسهم في إضعاف حلفائها السابقين بالمنطقة.

وتابع القحطاني، "مؤسسة المخابرات الجوية السورية ستزول كمفهوم ومهام، والمخدرات التي أنهكت العرب ستتم محاصرتها بعون الله".

كيف استقبل العالم رحيل الأسد؟

الولايات المتحدة:

- قال المتحدث باسم مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض، شون سافيت ، إن الرئيس الأمريكي، جو بايدن، وفريقه "يتابعون عن كثب الأحداث الاستثنائية" التي تجري في سوريا، وهم على اتصال دائم مع الشركاء الإقليميين.

روسيا:

- ذكرت الخارجية الروسية أن موسكو لم تشارك في هذه المفاوضات، وتناشد جميع الأطراف المعنية بتوجيه دعوة مقنعة إلى نبذ استخدام العنف وحل جميع قضايا الحكم من خلال الوسائل السياسية، مضيفة أنها على اتصال بجميع فصائل المعارضة، وتدعو إلى احترام آراء جميع القوى، وتدعم إنشاء عملية سياسية شاملة على أساس القرار "2254".

ألمانيا:

- قالت وزيرة الخارجية الألمانية، أنالينا بيربوك، إنه يجب على البلاد الآن ألا تسقط بأيدي "متشددين آخرين" تحت أي شكل كان، داعية كل الأطراف إلى تحمّل كل مسؤولياتها تجاه جميع السوريين، مع ضرورة حماية كاملة للأقليات.

فرنسا:

- رحبت فرنسا بسقوط نظام بشار الأسد "بعد أكثر من 13 عامًا من القمع العنيف للغاية ضد شعبه"، ودعت السوريين إلى رفض التطرف، وفق بيان للخارجية الفرنسية.
- الصين:
- الصين تتابع تطورات الوضع في سوريا وتبدي اهتمامًا كبيرًا، وتأمل أن تستعيد سوريا الاستقرار في أقرب وقت ممكن، وفق بيان لخارجيتها.

تركيا:

- قال وزير الخارجية التركي، هاكان فيدان، إن الشعب السوري سيرسم مستقبل بلده، وينبغي للمجتمع الدولي دعمه، مع ضرورة الحفاظ على مؤسسات الدولة ووحدة أراضي سوريا.

قطر:

- دعت قطر لإنهاء الأزمة السورية وفق قرارات الشرعية الدولية وقرار مجلس الأمن "2254"، بما يحقق مصالح الشعب السوري، ويحافظ على وحدة بلاده وسيادتها واستقلالها.

الإمارات:

- مستشار الرئيس الإماراتي، أنور قرقاش، ألقى باللوم في سقوط الأسد على فشل سياسته، وقال إنه لم يستخدم "شريان الحياة" الذي عرضته عليه دول عربية مختلفة من قبل، بما فيها الإمارات، طالبًا التعاون من السوريين لتجنب حصول "فوضى".

إسرائيل:

- رئيس الوزراء الإسرائيلي ، بنيامين نتنياهو، قال، "هذا يوم تاريخي بالنسبة للشرق الأوسط. إن انهيار نظام الأسد والاستبداد في دمشق يوفر فرصة عظيمة، ولكنه محفوف أيضًا بمخاطر كبيرة".

إيران:

- إيران تحترم وحدة سوريا وسيادتها الوطنية وسلامة أراضيها، ومصير سوريا ومستقبلها مسؤولية شعبها وحده، دون تدخل مدمر أو فرض خارجي، وفق بيان للخارجية الإيرانية.

> الأسد كان ينتظر من موسكو وإيران دفاعًا عن بقائه، بسبب مصالحهما المرتبطة بوجوده، لكن روسيا تخلت عنه، ربما كي لا تضحي بمصالحها مع تركيا.
>
> محمود الحمزة
> محلل سياسي متخصص بالشأن الروسي

أمريكا: "لا تتورطوا"

منذ بداية تقدم فصائل المعارضة ومع سيطرتها على مناطق واسعة، خرجت تصريحات أمريكية كان أبرزها نفي وزارة الدفاع الأمريكية لتورطها في عملية "ردع العدوان"، التي قادتها "إدارة العمليات العسكرية"، وتحدث المتحدث باسم الوزارة عن تحديات كبيرة أمام النظام تتعلق بأمنه واستقراره.

كما قال المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية، ماثيو ميلر، إنه ليس هناك أي تغيير في سياسة الولايات المتحدة تجاه النظام السوري، واصفًا بشار الأسد بأنه "دكتاتور وحشي، يداه ملطختان بدماء المدنيين الأبرياء في سوريا".

ومع تقدم المعارضة وسيطرتها على حماة، اكتفت واشنطن بالتأكيد على ضرورة الحفاظ على حماية المدنيين، بمن في ذلك الأقليات، دون التعليق على تقدم الفصائل أو إبداء أي اعتراض، معتبرة أن رفض النظام المستمر للانخراط في العملية السياسية، أدى إلى تصاعد الأحداث التي تشهدها سوريا بشكل مبا شر .

ويرى الإعلامي والسياسي السوري- الأمريكي أيمن عبد النور، أن الولايات المتحدة لم ترَ في تحرك الفصائل ما يضر بمصالحها، لذلك كانت جميع الأطراف حريصة على أن تبتعد عما يمكن أن يضر بالأمن القومي الأمريكي، لأنها تعرف أنها ستتعرض للأذى.

وفي الساعات الأخيرة قبيل سقوط نظام الأسد، قال ترامب، "سوريا في فوضى، لكنها ليست صديقتنا، ويجب على الولايات المتحدة ألا تكون لها أي علاقة بذلك. هذه ليست معركتنا. دعوا الأمر يأخذ مجراه، لا تتورطوا".

وبعد سقوط نظام الأسد، قال إن "الأسد فر من بلاده بعدما فقد دعم روسيا، ولم تعد مهتمة بحمايته".

> ترامب هو من أسقط الأسد وأقنع بوتين بالتخلي عنه، منهيًا مرحلة طويلة من الحكم البعثي والعبثي في دمشق، ما سيسهم في إضعاف حلفائها السابقين بالمنطقة.
>
> عبد الله بن غانم القحطاني
> لواء سعودي متقاعد وباحث في الدراسات الاستراتيجية والأمنية

هل تغير "الشرع".. وماذا عن التصنيف؟

خلال الفترة الأخيرة، بدأت "هيئة تحرير الشام" تغيّر في خطابها، إذ أجرى أحمد حسين الشرع، الملقب بـ"أبو محمد الجولاني"، مقابلة حصرية لشبكة "CNN" نشرت في 6 من كانون الأول، وقدم فيها رسائل طمأنة فيما يتعلق بموضوع الأقليات، إذ قال، "كانت هناك بعض الانتهاكات ضدهم (الأقليات) من قبل أفراد معينين خلال فترات الفوضى، لكننا عالجنا هذه القضايا (...) لا يحق لأحد أن يمحو مجموعة أخرى".

وعزا "الجولاني"، الذي بدأ في الأيام الأخيرة باستخدام اسمه الصريح، أحمد الشرع، التغييرات التي مرّت بها شخصيته، خلال السنوات الماضية بدءًا بتنظيم "القاعدة"، ووصولًا لمحاولات الاعتدال، إلى عامل السن، ومسألة تطور الوعي مع تقدم العمر، كما تحدث عن احتمالية حل "الهيئة" نفسها، وعن كونها تفصيلًا في الملف السوري، وأن الغرض منها إسقاط نظام بشار الأسد.

وكانت الولايات المتحدة وضعت، في آذار 2017، "هيئة تحرير الشام" على "لائحة الإرهاب"، وصنّفت في 2018 "الجولاني" كـ"إرهابي دولي"، ووضعت مكافأة قدرها عشرة ملايين دولار أمريكي للوصول إليه، لكنه رفض هذه التصنيفات مرارًا، معتبرًا أنها "غير منصفة".

وقال أيمن عبد النور، إنه عندما تم تصنيف "هيئة تحرير الشام" كـ"منظمة إرهابية"، جرى ذلك بناء على أيديولوجيتها وسلوكها حينها، لكن "الهيئة" بدأت تغير تلك الأيديولوجيا مؤخرًا، وهو ما يظهر حاليًا على الأرض من خلال السلوك المنضبط لـ"الهيئة"، موضحًا أنه إذا تغيّرت الهيكلية والإدارة والممارسات بشكل واضح من قبلها أو حلّت نفسها، فمن المحتمل أن تتجه أمريكا إلى إلغاء تصنيفها كـ"منظمة إرهابية" والتواصل معها بشكل مباشر، لأن التصنيفات لا تكون بناء على الشخص بحد ذاته، بل وفق الأيديولوجيا والتصرفات التي يقوم بها.

روسيا تتخلى عن الأسد

منذ أيلول 2015، تدخلت روسيا عسكريًا لإنقاذ النظام السوري، بعد وصول فصائل المعارضة إلى مشارف دمشق، وبالفعل استطاعت موسكو خلال سنوات قلب موازين القوى لمصلحة النظام، عبر التدخل العسكري، والمسارات السياسية، لكن بعد حوالي تسع سنوات على التدخل الروسي، بدأت تظهر مؤشرات على تخلي موسكو عن الأسد، وهو ما بدا جليًا عقب إطلاق فصائل المعارضة معركة "ردع العدوان" التي حققت خلال تقدمًا واسعًا على مرأى من موسكو، التي لم تدعم النظام بقوة.

واكتفت وزارة الخارجية الروسية بالحديث عن ضرورة الجلوس على طاولة المفاوضات وخفض التصعيد، وتوجيه الاتهامات إلى أوكرانيا بدعم فصائل المعارضة بالطائرات المسيّرة خلال المعارك التي تخوضها ضد النظام شمال غربي سوريا.

المحلل السياسي المختص بالشأن الروسي محمود الحمزة، فسّر ذلك بأن روسيا لم تدافع عن الأسد لأسباب كثيرة، منها أنه لا يتجاوب مع المقترحات، لا سيما فيما يخص التطبيع مع تركيا، حيث كان يعد الروس بالتقدم نحو مسار التطبيع، قبل أن يصعّد ضد تركيا أو يشهر سيف الشروط المسبقة.

وأشار الحمزة إلى أن روسيا منهمكة في حرب أوكرانيا، وإيران تلقت ضربات موجعة من إسرائيل، عقب اغتيال قيادات "حزب الله" (حليفها العسكري الأقرب في لبنان، والحاضر في سوريا لدعم النظام، وبالتالي لم تعد لدى حلفاء الأسد القدرة على دعم قواته العاجزة عن حماية نفسها.

وكان الأسد ينتظر من موسكو وإيران دفاعًا عن بقائه، بسبب مصالحهما المرتبطة بوجوده، لكن روسيا تخلت عنه، ربما كي لا تضحي بمصالحها مع تركيا، وفق المحلل السياسي.

وفي تصريح روسي يعكس تبدّل الموقف من النظام السوري، نقلت وكالة "بلومبيرغ" عن مسؤول مقرب من "الكرملين"، أن روسيا لا تملك خطة لإنقاذ رئيس النظام السوري، ولا ترى إمكانية لظهور خطة لإنقاذه، طالما استمر جيش النظام بالانسحاب والتخلي عن مواقعه.

وسبق هذا التصريح بساعات، دعوات أطلقتها السفارة الروسية بدمشق مطالبة خلالها المواطنين الروس الذين يعيشون في سوريا بمغادرة البلاد على متن رحلات تجارية عبر المطارات الموجودة، بسبب الوضع العسكري والسياسي الصعب في سوريا.

أما وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، فتحدث بعد اجتماع مع وزيري خارجية تركيا وإيران عن ضرورة التواصل بين النظام والمعارضة السورية التي وصفها لأول مرة بأنها "شرعية"، بعدما كان يتهمها بالإرهاب.

في المقابل، يرى المحلل السياسي الروسي، ديمتري بريجع، أن روسيا لم تغير سياساتها تجاه سوريا، لكن استمرار انهيار الأخير عسكريًا، كفيل بإجبار موسكو على إعادة ترتيب أوراقها، كونها تدرك أن الطيران الروسي لن يستطيع تغيير موازين القوى دون قوات برية فعّالة على الأرض.

وأشار بريجع إلى أن هناك تفاهمات روسية- تركية، ومصالح مشتركة باعتبار أن أنقرة حليف استراتيجي لموسكو، مستبعدًا حدوث تحول في السياسة الروسية تجاه تركيا في ظل الحرب الدائرة في أوكرانيا، لأن ذلك سوف يؤثر على المصالح الروسية بشكل أساسي.

وبالتزامن مع دخول فصائل المعارضة المشاركة في عملية "ردع العدوان" إلى مدينة حلب، وجهت حكومة "الإنقاذ" العاملة في إدلب، رسالة إلى روسيا، جاء فيها أن الشعب السوري يسعى لبناء علاقات إيجابية قائمة على الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة مع كل دول العالم، بما في ذلك روسيا، التي اعتبرتها "شريكًا محتملًا" في بناء مستقبل مشرق لسوريا.

الموقف العربي ورسائل الطمأنة من "الشرع"

هذا السقوط "الحر" لنظام حكم الأسد، قوبل بصمت عربي حتى من الدول التي طبعت علاقاتها معه قبل أقل من عامين، وأشرعت له الباب ليشارك في قمتين عربيتين (في جدة والمنامة)، وقمتين عربيتين إسلاميتين (في الرياض)، باستثناء بيانات دبلوماسية لا تحمل في جوهرها انحيازًا لترجيح حكمه .

الخبير الاستراتيجي والباحث غير المقيم في معهد "ستيمسون" بواشنطن عامر السبايلة، قال لعنب بلدي، إن المواقف العربية مما جرى ليست ذات قيمة حقيقية، فما جرى في سوريا نسخة معدلة مما حصل قبل سنوات، وبصيغة إقليمية ومرتبطة بما يحصل في الإقليم، فالعرب مجتمعين ليسوا جزءًا من المعادلة، وقدرتهم على فرض رؤى محدودة للغاية .

السبايلة اعتبر ما جرى جزءًا من استراتيجية إقليمية برعاية دولية، بمعنى أنه لا يمكن القبول بما كان سائدًا قبل 7 من تشرين الأول 2023، وفكرة جبهات وميليشيات وسلاح وصل إلى ضرب الداخل الإسرائيلي، فهذه مرحلة انتهت، وسوريا لن تعود أرضًا عملياتية للتنظيمات وإيران.

ومع تحركاتها العسكرية على الأرض، اتجهت "إدارة العمليات العسكرية"، وقيادتها المتمثلة بأحمد الشرع (أبو محمد الجولاني)، وعبر حكومة "الإنقاذ" العاملة تحت مظلة "هيئة تحرير الشام" التي يقودها "الجولاني"، لتقديم بيانات ورسائل طمأنة على مستويين، محلي داخلي وخارجي، فطمأنت الطائفة الشيعية والإسماعيلية والعلوية والمسيحيين، ودعتهم للبقاء في منازلهم، ومنحتهم الأمن، كما خاطبت روسيا ودعتها لربط مصالحها بالشعب السوري، لا ببشار الأسد، وخاطبت الأردن ولبنان، لكف يد "حزب الله"، والعراق للجم ميليشياته الطائفية، والمجتمع الدولي، الذي وعدته بعدم استخدام السلاح الكيماوي وأسلحة الدمار الشامل، والتعاون في هذا الملف.

الخبير السبايلة اعتبر أن ظهور الشرع باسمه وحديثه عن حياته الشخصية وفكرة حل "هيئة تحرير الشام" يوحي بخطوة سياسية عليها توافقات، فيما يبدو كعملية تأهيل، وتقديم أوراق اعتماد كرجل سياسة لا قائد فصيل.

خوف بغداد من المعارضة

مع إطلاق فصائل المعارضة عملية "ردع العدوان" وتقدمها على حساب قوات النظام والميليشيات الإيرانية، تتالت إعلانات الحكومة العراقية عن إغلاق وتأمين الحدود، وذهبت إلى أبعد من ذلك بوصفها الفصائل بـ"الإرهابيين".

قابل الموقف العراقي المتشدد من فصائل المعارضة تطمينات من قبل "إدارة العمليات العسكرية" التي أدارت دفة المعارك في شمالي سوريا.

الموقف العراقي تجاه الفصائل العسكرية، بحسب تصريحات المسؤولين، لم يتغير حتى اللحظة الأخيرة من خلع الأسد، وألمح العراق لدعم النظام ضد المعارضة، وصدرت أصوات من قادة ميليشيات عراقية تابعة لإيران حول نيتها دعم النظام، إلا أن "الحشد الشعبي" الذي تنضوي تحته هذه الميليشيات نفى إرسال قوات إلى سوريا.

> الموقف العراقي يبدو انعكاسًا مباشرًا للإملاءات الإيرانية أكثر من كونه موقفًا مبررًا يخدم مصالحه الوطنية.
>
> نادر خليل
> باحث السياسي

كما أكد زعيم "التيار الوطني الشيعي"، مقتدى الصدر، الخميس الماضي، أنه ما زال على موقفه من عدم التدخل في الشأن السوري، وعدم الوقوف ضد قرارات الشعب، فهو المعني الوحيد في تقرير مصيره .

الباحث السياسي نادر خليل، قال لعنب بلدي، إن الموقف السلبي للحكومة العراقية تجاه فصائل المعارضة السورية، الذي تجلى بوضوح بعد عملية "ردع العدوان"، لا يمكن تفسيره بعيدًا عن النفوذ الإيراني وتأثيره العميق على السياسة الخارجية للعراق "وتظهر حكومات العراق كتابع لها".

والموقف العراقي "يبدو انعكاسًا مباشرًا للإملاءات الإيرانية أكثر من كونه موقفًا مبررًا يخدم مصالحه الوطنية"، وفق تعبير نادر خليل.

وترى إيران في فصائل المعارضة تهديدًا لنفوذها في سوريا والعراق، بحكم ارتباط النظامين الوثيق بإيران سياسيًا وأمنيًا، بالإضافة إلى الأبعاد الطائفية للمشروع الإيراني، فإيران، وفق نادر خليل، تسعى لاستغلال حكومة بغداد كأداة ضمن النظام الإقليمي العربي لتشكيل مواقف معادية للمعارضة السورية، بما يخدم مصالحها الاستراتيجية في سوريا والمنطقة عمومًا.

ولدى الحكومة العراقية "هواجس أمنية"، وتعتبر المعارضة السورية عاملًا مزعزعًا للاستقرار، بناء على توصيفات إيرانية، وتسعى حكومة بغداد ضمن سياستها الحالية للحفاظ على تحالفاتها الإقليمية وعلاقاتها الاستراتيجية مع طهران، ولو على حساب مواقفها تجاه قضايا عربية، وفق نادر خليل.

المحلل السياسي العراقي نظير الكندوري، أرجع موقف العراق إلى تخوف الحكومة الشديد من سقوط النظام على يد المعارضة السورية، ما يمكن أن يمهد في مرحلة لاحقة لمصير مشابه للنظام العراقي الحالي.

بالاستناد إلى عوامل منها جغرافية، فالبلدان يشتركان بحدود تصل إلى 605 كيلومترات، بالإضافة إلى العامل الديموغرافي في البلدين، فكلاهما تحكمهما مجموعة "طائفية مرتهنة بولائها إلى إيران، تضطهد السنّة".

والذاكرة السياسية القريبة لجميع الأنظمة العربية، تجعل حكومة بغداد تخشى من تكرار سيناريو الربيع العربي، حينما امتدت الاحتجاجات الشعبية لعدة دول عربية.

وأشار الباحث نادر خليل إلى وجود مخاوف غير مبررة لدى العراق تتمثل في انتقال مقاتلين معارضين أو انتقال تأثير عملياتهم إلى العراق، رغم أن التهديد الحقيقي يتمثل بخلايا تنظيم "الدولة الإسلامية" القريبة جغرافيًا، وليس لقوى المعارضة السورية أي مصلحة أو نيات أو خطط لذلك.

ولدى فصائل المعارضة مشاغلها وأعمالها داخل سوريا تكفيها عن أي تحركات خارج سوريا، ولكن تقدم المعارضة قد يشجع القوى العراقية الرافضة للنفوذ الإيراني على التحرك، ما يهدد استقرار النظام السياسي المدعوم من طهران.

وأضاف الكندوري أنه من الناحية السياسية، فإن انتصار المعارضة على النظام يضرب المشروع الإيراني بالصميم، في الوقت الذي كانت إيران ومن يتبعها تريد تقديم نموذج ناجح في سيطرتها على أربع دول عربية، وبالتالي فإن قطع المحور الإيراني من سوريا، سيضرب المشروع الإيراني ضربة قاتلة، وسيكون مصير حكومة بغداد ومن يدعمها من أحزاب وميليشيات مرتبطة بإيران في مهب الريح، فالموضوع بالنسبة للنظام الحاكم في العراق، حياة أو موت.

خطاب إيجابي

وجّه قائد هيئة "تحرير الشام"، "أبو محمد الجولاني"، القائد العام للعمليات العسكرية ضد النظام، في 5 من كانون الأول، رسالة طمأنة إلى الحكومة العراقية تؤكد عدم وجود نيات أو أفكار لدى فصائل المعارضة السورية ترتبط بالأراضي العراقية.

وقال إن "هناك الكثير من المخاوف والأوهام التي يظنها بعض الساسة العراقيين بأن الوضع في سوريا سيمتد للعراق، وهذا الأمر خاطئ مئة في المئة".

كما وجهت حكومة "الإنقاذ" السورية، مطلع كانون الأول الحالي، رسالة حملت أيضًا تطمينات للعراق.

ويرى الباحث نادر خليل أن خطاب المعارضة السورية "الإيجابي" والموجه للحد من المخاوف الإقليمية وضع الحكومة العراقية أمام خيار صعب، فخفف من حدة موقفها قبل أن تحسم فصائل المعارضة العملية بإسقاط النظام.

وكان أول اتصال رسمي للأسد المخلوع خلال هجوم الفصائل مع رئيس الحكومة العراقية، محمد شياع السوداني، الذي أبدى استعداد بغداد لتقديم كل الدعم لسوريا فيما سماه "مواجهة الإرهاب".

في 30 من تشرين الثاني الماضي، أي في اليوم الرابع من عملية "ردع العدوان"، كثف قادة الجيش العراقي من تصريحاتهم بما يتعلق بأمن الحدود.

في 3 من كانون الأول، أبلغ السوداني، الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، في اتصال هاتفي أن بلاده لن تقف متفرجة على التداعيات "الخطيرة" الحاصلة في سوريا، وشدد على أن العراق سبق أن تضرر من "الإرهاب" ومن نتائج سيطرة "التنظيمات المتطرفة" على مناطق في سوريا، و"لن يسمح بتكرار ذلك".

هذه التصريحات كلها سبقت اجتماعًا وزاريًا في بغداد جمع وزراء خارجية سوريا وإيران والعراق، ونتجت عنه تصريحات عراقية لم تخطُ أبعد من لغة البيان والتأكيد على وحدة سوريا وسيادتها وتقديم المساعدات الإنسانية وضرورة وقف الأعمال القتالية.

بخلع الأسد، انتهت حقبة من العلاقات المعقدة بين النظام السوري وجواره والقوى الدولية، امتدت لعقود، أثبت خلالها النظام السوري في عهد الأسدين الأب والابن ميله لترسيخ مصالحه على حساب الدور الحقيقي لسوريا كدولة عربية، ولأجل تلك المصالح بنيت تحالفات ومحاور، آخرها التحالف مع إيران و"حزب الله" اللبناني، وهو ما انتهى اليوم، على ما يبدو، إلى غير رجعة.

> ظهور الشرع باسمه وحديثه عن حياته الشخصية وفكرة حل "هيئة تحرير الشام" يوحي بخطوة سياسية عليها توافقات، فيما يبدو كعملية تأهيل، وتقديم أوراق اعتماد كرجل سياسة لا قائد فصيل.
>
> عامر السبايلة
> خبير استراتيجي وباحث غير مقيم في معهد "ستيمسون" بواشنطن

"أبو محمد الجولاني" قائد "هيئة تحرير الشام" في مدينة حلب بعد السيطرة عليها – 4 كانون الأول 2024 (إدارة العمليات العسكرية)

عنب بلدي ترصد التفاصيل

السيناريو المفاجئ وخروج النظام ومؤيديه من حلب

حلب – محمد العلي

سادت حالة من الذهول والترقب في الساعات الأولى من صباح الجمعة 29 من تشرين الثاني الماضي، مع توارد الأنباء تباعًا معلنة تقدم قوات المعارضة السورية وسيطرتها على حي تلو آخر ابتداء من حي حلب الجديدة على الأطراف الغربية لحلب، بعد ثلاثة أيام من بدء معارك "ردع العدوان" التي سيطرت قوات "إدارة العمليات العسكرية" إثرها على الريف الغربي للمدينة.

بعد أربع سنوات من الركود الميداني، وغياب أصوات المعارك عن مدينة حلب، عادت التحولات للحضور بشكل غير مسبوق، حيث انسحبت قوات النظام بشكل مفاجئ ودراماتيكي دون سابق إنذار وبطريقة لم يتوقعها أحد.

قوات النظام تركت خلفها من تبقّى من عناصرها، الذين وجدوا أنفسهم تائهين بعد سيل التطمينات التي حاول الإعلام الرسمي والصحفيون الموالون للنظام بثّها على مدار اليوم السابق للهجوم، والتي كانت تؤكد وجود خطوط دفاعية كافية.

مع ساعات المساء، كانت حالة من التخبط والذهول في الشوارع، وهو ما رصده مراسل عنب بلدي في حلب، وسط حيرة السكان في تقرير خطوتهم التالية لا سيما بعد انقطاع طريق حلب- دمشق (M5) الدولي رسميًا، وتحوّل الرحلات الخارجة من حلب إلى طريق خناصر.

وسادت حالة من الهدوء في ساعات الليل، باستثناء أصوات إطلاق أعيرة نارية، تبيّن أن عناصر قوات المعارضة كانت تطلقها في الهواء تعبيرًا عن الفرح بالسيطرة على المدينة.

صباح الجمعة (29 من تشرين الثاني)، كانت الأجواء هادئة بشكل عام في المدينة، لكن حركة المرور كانت ضعيفة إلى حد بعيد، خاصة أن "إدارة العمليات العسكرية" كانت قد أعلنت حظرًا للتجول انتهى عند الثامنة صباح اليوم نفسه.

في هذا التقرير، ترصد عنب بلدي مسار الطريق الذي اتبعه عسكريون لدى النظام السوري ومؤيدون له، ومدنيون حملتهم مخاوفهم للسير فيه، إثر صورة باقية في أذهان قاطني المدينة من "سرقة وقتل ودموية".

طريق عسير

رحلة الخروج من حلب كانت تقتضي التوجه إلى الجزء الشرقي منها للوصول إلى طريق خناصر، لكن المفاجأة غير السارة كانت وجود قناصين قيل إنهم يتبعون لـ"قوات سوريا الديمقراطية" (قسد) عند دوار "الليرمون"، وأدى المرور في المنطقة إلى تعرّض مدنيين للقنص ما أدى إلى سقوط ضحايا ومصابين.

وفق مراسل عنب بلدي، فإن حواجز "هيئة تحرير الشام" داخل المدينة حاولت تطمين المارّة، بينما كانت جثث العسكريين منتشرة في عدد من الشوارع لا سيما عند أوتوستراد الحمدانية، حيث يقع مقر سابق لـ"لواء القدس" الموالي لقوات النظام.

الخطوة الأولى على الطريق، كانت التوجه إلى منطقة السفيرة شرقي حلب، حيث كانت تتجمع عشرات السيارات و"البولمانات"، إضافة إلى توفر البنزين في المنطقة لتزويد السيارات، بينما بادر عدد من الأهالي إلى توزيع المياه ووجبات طعام بسيطة على السيارات العالقة في الزحام.

بعد الخروج من السفيرة، يبدأ الطريق بالاتساع مع تراجع حدة الزحام وصولًا إلى خناصر، والتوجه منها نحو أثريا التي ستكون نقطة فارقة على الطريق الذي كان يعجّ بسيارات عسكرية تحمل جنودًا خارجين من حلب.

كان الطريق مليئًا بمدنيين يقطعون المسافة سيرًا على الأقدام، بعيون تملؤها الحيرة والخوف، فضلًا عن انتشار دبابات وناقلات جند لقوات النظام بقيت فارغة على قارعة الطريق، بعد مغادرة الجنود الذين كانوا داخلها.

في أثريا ستصل المعاناة إلى ذروتها، إذ تجمعت آلاف السيارات على طريق ضيق تحيط بجانبيه أراضٍ ترابية، فبادرت السيارات إلى خوضها لتجاوز الازدحام، لا سيما مع وجود سيارات عسكرية ضخمة تحمل جنودًا ومصابين، وشاحنات كبيرة تحمل بضائع تحتاج إلى طرق واسعة من أجل العبور، ما زاد في عرقلة عبور السيارات المدنية.

رحلة الانتظار امتدت لأكثر من سبع ساعات بالنسبة لمئات السيارات العالقة، فيما انقطعت السبل ببعض السيارات جراء نفاد البنزين أو البطاريات، بينما بلغ سعر ليتر البنزين في أقرب منطقة إلى موقع الازدحام عند حاجز "أثريا" 100 ألف ليرة سورية ليلتها (6 دولارات أمريكية).

وقال بعض العالقين للمراسل، إنهم وصلوا إلى أثريا بعد 21 ساعة من السير على الأقدام قادمين من منازلهم في حلب.

لحظة الخلاص من حاجز "أثريا" شكلت نقطة فارقة في رحلة الخروج، والوصول إلى السعن ومنها إلى سلمية، حيث تم إسعاف المصابين المدنيين والعسكريين، والخروج منها إلى حمص والساحل ودمشق.

عودة بعد تهجير

على الرغم من أن أهالي حلب خاضوا سابقًا تجربة النزوح ومغادرة مدينتهم، فإن سيناريو الخروج بهذه الطريقة لم يكن متوقّعًا، من حيث سرعة التحوّلات الميدانية خلال ساعات، والمفاجأة في انقلاب المشهد دون معارك.

ولا توجد إحصائيات دقيقة لأعداد الأشخاص الذين خرجوا من مدينة حلب بعد دخول الفصائل، وتحدث مسؤولون في حكومة النظام عن تجهيز مراكز استقبال وإيواء مؤقتة في حمص وطرطوس.

في 22 من كانون الأول 2016، خرجت آخر قافلة من محاصري أحياء حلب الشرقية، لتفرغ أحياء هذه المدينة بالكامل من سكانها، وتعود تحت سيطرة النظام السوري، بعد أكثر من أربع سنوات من سيطرة المعارضة المسلحة عليها.

حينها، شكّل خروج السكان من أحياء حلب الشرقية بفعل الاتفاق الذي تمّ مع الروس والإيرانيين أكبر عملية تهجير قسري منظم في سوريا منذ عام 2011، وشكّل ضربة لفصائل المعارضة المسلحة في حلب، والشمال السوري بشكل عام، التي فشلت في كسر الحصار عن الأحياء المحاصرة.

قبل أسبوع، ومنذ دخول الفصائل أحياء حلب، تسلمت حكومة "الإنقاذ" مفاصل المدينة وشؤون إدارتها، وبدأت بإعادة المؤسسات الخدمية إلى العمل، بالترافق مع دعوة الكوادر القديمة للعودة إلى عملها .

كما أعلنت تفعيل أقسام الشرطة والمرور، ونشرت أرقامًا للإبلاغ عن حالات الشكاوى، وقالت إنها نشرت عناصر لحماية مؤسسات الدولة والمرافق العامة.

سيطرة الفصائل على حلب فتحت باب عودة المهجرين من أبناء المدينة إليها، في حين تعود الحياة تدريجيًا إلى طبيعتها، مع ارتفاع في أسعار السلع، وترقب خاصة مع استمرار "ردع العدوان" في كسب مناطق جديدة.

عائدون إلى حلب يجسدون أمل ملايين اللاجئين

عنب بلدي – نوران السمان

"يا دار تركنا فيك بعض مهجتنا، فهل للقياك يبقى عندنا أجل؟ تبكي الزوايا فكم ضمت لنا قصصًا، حتى الحجارة قد حنت لساكنها، فكيف بالقلب إذ ضاقت به الحيل؟".

يظهر رجل متقدم بالسن، في مقطع مصور نُشر على وسائل التواصل الاجتماعي يلقي أبيات الشعر هذه بصوت مرتجف، مستعيدًا شعوره حين رأى منزله بعد خمس سنوات من الغياب.

يقف الرجل أمام منزله القديم بحلب، ينظر إلى الجدران التي احتضنت صباه، ملامسًا أحجار بيته ومستذكرًا صخب الأيام الجميلة التي عاشها قبل أن تفرقه الحرب عن بيته.

الفيديو هو واحد من آلاف اللحظات الإنسانية التي عاشها السوريون العائدون إلى مدنهم ومنازلهم في الأيام الأخيرة، بعد سنوات من النزوح القسري، هربًا من قصف مستمر، ودمار لم يترك زاوية في المدينة إلا وطالها.

ويأتي ذلك بعد إعلان فصائل المعارضة السورية دخول مدينة حلب، وسيطرتها على المدينة، لتكمل تقدمها إلى مدينة حماة، في ظل انهيارات كبيرة ومتتالية في صفوف قوات النظام السوري.

وداع حلب.. وداع بلا أمل

عبد الغفور، شاب غادر حلب عام 2013، قال لعنب بلدي، "عندما تركت حلب، أصبت باكتئاب شديد، فقدت الكثير من وزني، وكنت أعيش في حالة مستمرة من القلق".

وجد عبد الغفور في دراسته متنفسًا، فأنهى تخصصه في الأدب الإنجليزي، لكن ذلك لم يكن كافيًا لتخفيف ألم الفقد والشوق لعائلته ومدينته.

أضاف الشاب أن دافعه للصمود كان إيمانه بـ"الثورة"، إذ ظل يحلم بالعودة يومًا ما، رغم أن الأمل "كان ضعيفًا" في عودته إلى منزله ورؤية عائلته مجددًا.

وعندما سُئل عن حجم شوقه لعائلته، لم يتمكن من الرد، بل اكتفى بإرسال مقطع مصور يظهر فيه وهو يعانق أفراد أسرته بحرارة وسط مشاعر الفرح والدموع التي تخللتها أصوات الأنين والشوق، في لحظة وصفها بأنها "أعادت للحياة معناها".

قصص العودة.. استعادة للروح والذكريات

على غرار عبد الغفور، يعيش الآلاف من أبناء حلب قصصًا مشابهة، بينهم محمد حفار، وهو ناشط إعلامي من أهالي حلب، يصف شعوره عند دخول حلب لأول مرة بعد سنوات من التهجير، بالقول، "كأنني أعيش حلمًا، رأيت المدارس، والمقابر، والأحياء القديمة، ورغم الدمار، فإن تلك اللحظة تعوض كل شيء".

وأضاف، "حلب هي مسقط رأسي، ووالدي مدفون فيها، لذلك كانت العودة حلمًا بالنسبة لي".

غادر محمد حلب في عام 2016، تاركًا وراءه كل ذكرياته وأهله، وكان يرى في العودة استعادة لروحه التي تركها هناك، "عندما رأيت شوارع حلب القديمة وناسها، شعرت وكأنني أستعيد نفسي من جديد".

القصف لم يترك آثاره على البنية التحتية التي دُمرت فحسب، بل أيضًا على النفوس التي أنهكتها الغربة وفقدان الأحبة، وبالنسبة لجيل كامل من الشباب السوريين، كانت العودة إلى ديارهم بمثابة محاولة لاستعادة حياتهم التي توقفت مع بداية النزوح.

قال محمد عن مغادرته حلب، "روحي بقيت هناك، وغادرتُ بلا روح"، لتعود الآن عند رؤية مدينتي.

وأضاف، "رغم الخوف الذي ما زال يرافقنا، فإن رؤية مدينتنا وناسها تعني أننا استطعنا الوقوف مجددًا".

الحنين للوطن والآمال

يظهر مقطع مصور نُشر على وسائل التواصل الاجتماعي إلى جانب العديد من المقاطع الأخرى، اجتماع شقيقين بعد سنوات من الفراق في مدينة حلب، معانقين بعضهما بحرارة وسط أفراد العائلة.

وفي مقطع آخر، يجتمع الناشط السوري أنس قضيماتي بعائلته بعد سبع سنوات من التهجير، تلك اللحظات لم تكن مجرد لقاءات عائلية، بل كانت استعادة للذكريات التي توقفت عندها الحياة، وعودة إلى الأحضان التي اشتاقوا إليها طويلًا.

العودة بالنسبة إلى الكثيرين ليست مجرد عودة إلى أماكن عادية، بل إلى ذكريات وأحلام توقفت عندها الحياة، وكأن المشاعر المختلطة بين الفرح والحزن كانت حاضرة في كل المدينة.

وأما عن أمل المبعدين الآخرين عن بلدهم، فيترقب منصور، الذي يقيم في مدينة اسطنبول التركية، العودة إلى حيه في الغوطة الشرقية.

وقال إن "تحرير حلب أعاد لنا الأمل، وننتظر بفارغ الصبر تحرير بقية المناطق لنجتمع بعائلتنا".

وفي كل حي من أحياء حلب، هناك قصة تُروى عن ألم الحرب وأمل العودة، وتجسد تلك القصص قدرة الإنسان على الصمود والنهوض رغم أصعب الظروف.

العودة إلى المنازل ليست مجرد لحظة استرجاع للمكان للاجئين السوريين، بل بداية لرحلة إعادة بناء ما دمرته الحرب، سواء كان ذلك على مستوى البنية التحتية أو الأرواح التي نزفت من شدة الشوق، وكانت رجوعًا إلى جذور الهوية، وإلى ذكريات تشكل جزءًا لا يتجزأ من حياة كل فرد عاش فيها، وكأن كل لقاء في حلب يشبه ولادة جديدة.

ملايين اللاجئين ينتظرون

يعاني ملايين اللاجئين السوريين ظروفًا صعبة، بين تهديدات بالترحيل وعدم الاستقرار، إضافة إلى التمزق والتشتت الاجتماعي جراء انفصال معظم العوائل عن بعضها.

ويوجد نحو خمسة ملايين لاجئ سوري في دول محيطة بسوريا، ففي تركيا وحدها هناك نحو ثلاثة ملايين لاجئ ينحدرون من مختلف المحافظات السورية، كما يوجد نحو مليون و850 ألف لاجئ في الأردن ولبنان والعراق ومصر، وتبلغ نسبة الأطفال والشباب منهم نحو 68%، وبين مجمل اللاجئين في الجوار هناك 900 ألف شخص من ذوي الإعاقة.

ويتوزع ملايين السوريين اللاجئين في دول أخرى، فهناك أكثر من شخص واحد من بين كل خمسة سوريين في عداد اللاجئين، وهذا يجعل سوريا الدولة التي تضم أكبر عدد من اللاجئين بالنسبة لعدد سكانها بمعدل 20 ألف لاجئ لكل 100 ألف نسمة، وفق تقرير اتجاهات النصف الأول من عام 2024، الصادر عن المفوضية السامية لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة.

لزملائنا الصحفيين داخل سوريا.. بالودّ لا بالحقد

علي عيد

صبيحة خلع الأسد وسقوط النظام، تواصل عدد من زملاء المهنة من دمشق، وهم صحفيون بقوا في سوريا، لظروف متعددة، وكانت الهواجس بادية على مجمل ما بدر حيال مستقبلهم، وليس خافيًا حقهم في التعبير عن القلق، والاستفسار حيال القادم.
كنت شاهدًا على صحفيين حملوا البنادق والعصيّ، وآخرين بقوا أسرى في الداخل، بينما كثير من الزملاء تركوا البلاد لأنهم يريدون إعلامًا حرًا وشريكًا في التنمية والبناء عبر كشف ومحاربة الفساد، وتمنوا لو أن الشاشات والصحف والمواقع الإلكترونية تكون منابر للحقيقة، وصوتًا للعقل، لا للموت وتمجيد الظلم، والإسهام في تبرير الفساد.
لم تتح الفرصة لكثيرين المغادرة، بينما كان هناك من رأى مصلحته في دولة الظلم والاستبداد، وها نحن اليوم نشهد طيّ الصفحة، فبأي وجه نلتقي، وماذا يقول بعضنا لبعضنا الآخر، أهو عتاب أم مراجعة؟
بالود لا بالحقد، سنقابل زملاءنا، وليذهب أنصار المستبد إلى العدالة الانتقالية لا الانتقامية.
أذكر ذات يوم خلال "كونجرس" الفيدرالية الدولية للصحفيين بتونس في 12 من حزيران 2019، وكنت حينها أمثل رابطة الصحفيين السوريين الذين خرجوا قهرًا، وأمام ممثلي الصحفيين في 180 دولة، قلت لزميلي القادم من دمشق، رئيس اتحاد الصحفيين الذي بقي بمنصبه حتى لحظة سقوط الطاغية، كم أتمنى لو أخذتكم بالأحضان، لكنني أخشى عليكم المحاسبة عند العودة، فردّ عليّ بخطاب تمجيد لقائده بشار الأسد.
المئات من الصحفيين، ما زالوا على عهدهم، وما قالوه لم يتغير، وما تغير هو أن نضالاتهم إلى جانب الملايين من السوريين لم تذهب أدراج الرياح، لقد انتصر مطلب الحرية والانعتاق على العبودية والقهر وتكميم الأفواه.
ها هي سوريا تطوي صفحة قاتمة وطويلة من تاريخها السياسي والأمني، أصعب جزء فيها بدأ بعد عام 2011، وكان الإعلام السوري الرسمي خلالها ظهيرًا للبندقية بشكل صارخ، ونشأ في المقابل إعلام متفاوت المهنية، لكن الصورة الأهم فيه، هي تحول كاميرا الشارع وإعلام المواطن إلى صوت قوي ومعبّر، وتطور الكثير منه لينتقل إلى مرحلة عمل مؤسساتي راسخ، ربما سيكون له فضل في التأسيس لمرحلة جديدة.
أكتب هذا في عنب بلدي، وهي وليدة ثورة الحرية والكرامة، وهي ثمرة إيمان راسخ بأهمية الكلمة، وبرسالة الصحافة النبيلة، وحتى ونحن نحتفل بخلع الطاغية، ما زالت عيوننا مفتوحة على أي انتهاك أو أي فساد أو ظلم، عيوننا على مستقبل البلاد، نحرس الكلمة، ونضع خطتنا لما سنفعله غدًا من أجل بلاد تسودها العدالة والديمقراطية، بلاد لا يمكن فيها تمرير الاستبداد والتسلط وسرقة موارد الدولة، مع الناس وصوتهم وحقهم، رحل من رحل وحكم من حكم.
انتصار الصحافة المستقلة الحرة لن يكون ناجزًا بسقوط نظام فحسب، بل بترسيخ قناعة لدى كل من يريد أن يحكم، لدى كل سياسي، وكل رجل أعمال، بأن الحارس لا ينام، كما أن انتصار الصحافة المستقلة سيكون بتعزيز وعي الناس بأنهم أحرار فيما يعتقدون ويقولون، أحرار في قول كلمة الحق، بأننا مسؤولون معهم عن حماية حقوقهم ومستقبلهم ومستقبل البلاد، ومسؤولون عن أقلامنا وحناجرنا حتى لا تشتريها مصالح.
لزملائنا في الداخل والخارج، نلتقي في دمشق.. وللحديث بقية.

التماهي مع الدكتاتور.. متى يكون صحيًا؟

أحمد عسيلي

في معظم دساتير العالم تقريبًا، يمنع انتخاب رؤساء الجمهورية لأكثر من دورتين انتخابيتين، ولهذا العرف امتداد عريق في تقاليد الديمقراطية منذ لحظة تأسيسها في أثينا، بل في بعض الحالات وصلت تلك الديمقراطية الضاربة في القدم إلى حدود متطرفة في هذه النقطة، فكانوا يمارسون النفي السياسي، وذلك بالطرد خارج المجتمع لأي شخص مهدد للديمقراطية، غالبًا لمدة عشر سنوات، مع وجود ضوابط كثيرة لذلك، هذا يدل على عمق فهم الحضارة اليونانية للنفس البشرية، فإمكانية أن تؤخذ الجماهير بعظمة شخص ما قد تحطم الديمقراطية في لحظة هوس بإنسان يملك "كاريزما" قوية، وإيمان المجتمع بأن شخصًا واحدًا (مهما كانت قدرات هذا الشخص) هو الحامي، المدبر لشؤونه، سيعمل على استصغار البشر لقدراتهم، فالمجتمع يجب أن يبقي على الثقة بذاته، وبقدراته الخاصة كمجتمع، دولة، وإلا سار في طريق الانحلال والضعف.
أذكر حول هذه النقطة فيلمًا إسرائيليًا حضرته منذ حوالي عشر سنوات كانت تدور أحداثه في روضة أطفال كانوا يغنون في الصباح نشيدًا تقول كلماته: من هو أعظم شخصية في إسرائيل، نحن هذا الجيل أعظم شخصية، كل جيل قادم سيكون الأعظم. تذكرت حينها كيف كنا أطفالًا نغني في مدارسنا لعظمة حافظ الأسد، كيف كانوا يغرسون في أدمغتنا أن كل ما نعيشه من "نعيم" هو بفضل "الأب القائد" حافظ الأسد، فلبناء الدكتاتورية جذور تغرس في الطفولة.
والسؤال هنا: هل يمكننا اعتبار هذا التماهي دومًا حالة مرضية؟
الجواب المباشر هو لا، بل العكس تمامًا، غالبًا ما يدل على صحة نفسية، فهو أصلًا ما يمنح حياة الإنسان نوعًا من المعنى، يضفي عليها الكثير من الجمالية، فبناء علاقات متخيلة مع شخصية ما، أو (بمرحلة ذهنية أرقى) فكرة ما، أو مذهب فكري أو سياسي، هو الذي يمنحنا السعادة، حالة من الرضا عن النفس. أشيع مثال على ذلك، تعلق بعض الجماهير بأحد الأندية الرياضية، ما يجعلها تتابع جميع مبارياته، تبتهج بفوزه، تحزن لهزائمه، يمنحها الكثير من المتعة في أثناء لحظات التشجيع، لأن المشجعين اعتبروا هذا النادي كأنه جزء من حياتهم، بنوا علاقات متخيلة مع تلك النوادي، رموزها، مع أنهم واعون لحقيقة أن لا علاقة واقعية حقيقية أو مجردة تربطهم بهذا النادي أو ذاك، سوى تلك التي بنوها بأنفسهم، يعيشونها مع أنفسهم بخيالاتهم، في عالمهم الخاص.
هذا التماهي والانصهار المتخيل مع هذا النادي أو ذاك، أو مع هذا التيار الفكري، أو مع أيديولوجيا معيّنة، يصل إلى حد أن يمنح الإنسان حياته ثمنًا لهذه الفكرة المتخيلة، وهذا ما أعطى للتاريخ حراكًا، دينامية، وهل فكرة "اليوتيوبيا" سوى ذلك؟ من هو بالنهاية تشي غيفارا أو سناء محيدلي سوى أشخاص وصل التماهي بينهم وبين فكرهم إلى درجة الانصهار التام، التضحية بحياتهم في سبيل إيمانهم بقضيتهم.
لنفهم مدى صحية هذا الشكل من التماهي، دعونا نتخيل الإنسان لو جرد من هذه القدرة، ولم يعد باستطاعته إنشاء تلك الروابط المتخيلة، السباحة في بحوره الخاصة. حينها يعيش هذا البائس في سجن المادة، ينعدم الخيال، وتفقد الأشياء رمزيتها، تصبح الكتب بلا معاني، تتحول إلى مجرد ورق، المتاحف مجرد حجارة، الرياضيون مجرد رجال يركضون، يقفزون، بل، أحيانًا الإنسان كله مجرد جسد، لا روح له، لا شيء يميز أي فرد عن آخر، تنعدم القدرة على الحب، على الإحساس بالموسيقا والأدب.
نحن بحاجة لنخلق معانينا، وقيمنا، تراثنا، لكن (هذا أهم ما في هذه المقالة من فكرة) يجب أن تبقى هذه الحاجة تحت سيطرتنا، ضمن مجال وعينا، تحكمنا، فهي (ككل الغرائز، اللذات) يمكن أن تجرفنا معها، حين نعجز عن فهمها، وضعها في مكانها الصحيح بأولويات حياتنا.
يمكن هنا أن نفهم لماذا تصر بعض الملكيات الأوروبية على الاحتفاظ بتراثها الملكي رغم ديمقراطيتها، لماذا تصر بعض تلك الدول على خروج الملك أو الملكة في خطابات بأيام معيّنة، بتواريخ معيّنة، بل، في بعض الدول بأماكن محددة، لأن تلك الشخصيات ممثلة للدولة، تربطهم بها علاقات شخصية (تخيلية) ومعنوية قوية، فهم مدركون لأهمية هذه الروابط في تشكيل المجتمع، لكنها لن تخرج عن هذا الحد الذي يخدم حاجة نفسية للشعب.
رموز السينما والغناء أيضًا حالة صحية من التماهي، حين تبقى في إطار واعٍ، مدرك للدرجة التي يمكننا أن نتماهى فيها مع هذا الممثل أو ذاك النادي الرياضي، فنبقي على مسافة واعية منه، نحدد مكانته في حياتنا النفسية، وإلا تحول إلى مرض حقيقي، كما حدث ذات مرة مع أحد مشجعي نادي الزمالك في مصر، الذي تعرض لأزمة قلبية حادة بعد خسارة أمام الأهلي، فمن قال إن الأمراض، والعلل النفسية، لا تقتل أحيانًا.
هذه الحاجة تستغلها الأنظمة الدكتاتورية بشكل كبير، فتحاول أن ترسم الدكتاتور دومًا كأنه أب للشعب، حام له، مخلصه، أمله، كلنا يتذكر كيف كانت تتنشّر في سوريا ملصقات لصور حافظ الأسد، عليها جملة "الأب القائد"، مع أننا جميعا نعلم أنه ليس أبانا، إنما هو شخص عادي، لديه أسرته الخاصة التي يحبها أكثر من الجميع، يعمل على نقل سلطته لأحد أولاده الحقيقيين، هو يحتل منصبًا إداريًا في الدولة، رابطتنا به يجب أن تبقى ضمن هذا المنصب، حين توفي ابنه باسل، كان الهتاف: كلنا باسل، هذا الهتاف أثر في الكثيرين، خاصة مع المؤثرات الموسيقية، لدرجة جعلتهم فعلًا يعتقدون أن هناك رابطة أخوة حقيقية تربطهم بباسل (خاصة في حاضنته الشعبية)، مع أنه واقعيًا، بشكل مجرد، إن كانت هناك رابطة تربطهم مع باسل، فهي رابطة استغلال، نهب، إخضاع.
أولى الطرق للتخلص من إمكانية إقامة نظام دكتاتوري مستقبلًا، هي نزع فكرة الرمز، الأب، الشخص ذي القدرات الخارقة، اتكالية المجتمع على هذا الشخص، بل يجب اعتماد هذا المجتمع على نفسه فقط.

ألف ألف مبارك.. الفرح بعد اليأس من كل فرح

د. أحمد غياث سليمان

السيد رئيس تحرير صحيفة عنب بلدي
في 24 من تشرين الثاني 2016 أرسلت لكم آخر مقالاتي بعنوان "ثورة على العولمة" بعدما كنت قد توقعت في مقالتي "المذبحة السنية" قبل يومين من الانتخابات الأمريكية انتخاب دونالد ترامب لرئاسة الولايات المتحدة، على عكس التوقعات السائدة حينها والتي "تنبأت" بل واستبشرت خيراً بانتخاب السيدة كلينتون المؤكد.
كتبت كل مقالاتي باسم "حركي" لكيلا يتضرر أقاربي في دمشق: أحمد الشامي.
تعرضت بعدها لأزمة صحية وقررت على إثر ذلك أن زمن الثقافة والكتابة قد فات أوانهما، وأن كل ما سوف أكتبه، بعدما بانت خيانة العالم بأسره للثورة السورية، سوف يكون سوداويًا ومتشائمًا للغاية.
مع الأسف وحتى نهاية تشرين الثاني الماضي، تحققت أغلب التوقعات المتشائمة باستثناء الموقف الأخلاقي والاستثنائي للسيدة ميركل (وهو ما كلفها السلطة فيما بعد)، والدعم الأردوغاني الذي تبين أنه لمصلحة تركيا طالما كانت مصالح الدولة التركية متناسقة مع مصالح السوريين الثائرين. هذا "الدعم" انتهى، على الصعيد الداخلي التركي إلى ما نعرفه من اضطهاد السوريين اللاجئين وإلى الرغبة في إعادتهم. بالنسبة للأتراك عودة السوريين تمر عبر مساعدتهم على تحرير بلادهم بضوء أخضر أمريكي وغض بصر إسرائيلي وصمت روسي من قبل "ظل الشيطان على الأرض" بوتين.

لا يجب أن نكون سذّجًا لنصدق أن داعمي تحرير السوريين قد "صحت" ضمائرهم وأنهم انتبهوا إلى معاناة هؤلاء المساكين في ظل نظام الكيماوي والبراميل.
يبدو لي أن سقوط النظام هو نتيجة منطقية للزلازل التي وقعت في العالم منذ شباط 2022:
- الغزو الروسي لأوكرانيا الذي توقع بوتين أن يكون نزهة وتحول إلى مستنقع تغرق فيه روسيا وقيصرها وتتورط فيه أوروبا، والكل سيهرع في النهاية لشراء أسلحة من "العم سام". إضافة إلى أن روسيا أصبحت بسبب "اتفاقية مونترو" عاجزة عن إمداد الأسد بحرًا بالسلاح لكون سفنها الحربية التي تحمل العتاد العسكري ممنوعة من عبور الدردنيل.
- اغتيال قاسم سليماني، رجل إيران القوي والذي كان قادرًا على ملء أي فراغ في السلطة الإيرانية والتأثير على المرشد المريض والعجوز. تبع ذلك "موت" إبراهيم رئيسي الخليفة المحتمل لعلي خامنئي، في ظروف غامضة، ما أضعف "الحرس الثوري" وميليشياته والتيار المتشدد في إيران عمومًا.
- انتخاب بزشكيان لرئاسة إيران بموافقة المرشد، وهو ما قوّى التيار الإصلاحي في إيران، وهذا التيار يعتبر أن المشروع النووي الإيراني بلغ نقطة اللاعودة، وأن إيران أصبحت بمنأى عن أي تهديد جدي للنظام وأن "حزب الله" وكل محور "المقاومة والممانعة" لم يعد لهم من فائدة، بل إن المحور أصبح عبئًا على إيران، وتكلفته أكثر من فائدته. هكذا نفهم التضحية أولًا بإسماعيل هنية ثم بحسن نصر الله وبكوادر الحزب الإلهي بالجملة ومن بعدهم "بصبي الشام" وعصابته.
- شرارة الزلزال في منطقتنا كانت مذابح السابع من تشرين الأول 2023 والهولوكوست الغزي الذي تلاها، ما أطلق العنان للوحش الإسرائيلي بغطاء أمريكي لا سابق له، مع ما يعادل قنبلتين نوويتين ألقيتا على غزة الشهيدة، اقتداء بـ"قواعد حماة" التي سنها المقبور حافظ بمباركة إسرائيلية وسط تواطؤ ما يسمى "المجتمع الدولي".
- الحزب الإلهي "تورط" بعدها في حرب إسناد خجولة دون أن يكون له سند حقيقي سوى ممثلي التيار المتشدّد في إيران و"الحرس الثوري"، وهم في حالة ضعف خاصة بعد الردود الإيرانية الضعيفة على العدوان الإسرائيلي. علمًا أن الغارات الأخيرة قضت على الدفاعات الجوية الإيرانية، دون أن تدمر المشروع النووي الإيراني بسبب الفيتو الأمريكي على هذا الخيار، خاصة أن مهاجمة المفاعلات النووية في إيران مستحيلة دون مشاركة أمريكية حاسمة. عدم مهاجمة المفاعلات النووية في الدولة الفارسية "طمأن" التيار الإصلاحي وقوّاه على حساب "الحرس الثوري" الذي عجز عن إسقاط ولو طائرة واحدة رغم أن الطائرات الإسرائيلية بقيت أربع ساعات على الأقل في الأجواء الإيرانية.
- انتخاب ترامب هذه المرة أتى في مصلحة السوريين "خارج إرادة" الرئيس المنتخب! يجب ألا ننسى أن الرئيس الحالي لأمريكا لا يزال العجوز بايدن، الصهيوني والآيل للرحيل، الرجل قام بالعفو عن ابنه المدان بالفساد، ثم "أهدى" إسرائيل الضوء الأخضر المعطى للأتراك ولعملية "ردع العدوان".
الحقيقة أن سقوط نظام الأسد كان أكيدًا وكان يمكن لهذا السقوط أن يكون على يد أعوان إيران من أتباع "الحرس الثوري"، لإغراق سوريا بالميليشيات الطائفية تحت شعار "طريق القدس يمر من بيروت- دمشق وحتى صنعاء". هذه الحالة كانت ستجبر الدولة العبرية على الدخول برًا لسوريا والغرق في مستنقع جاهز سلفًا بحكم حجم الدمار في هذا البلد. الدخول الإسرائيلي كان سيقوي موقف المتشددين في إيران على حساب الإصلاحيين على مبدأ "لا صوت يعلو على صوت المعركة". بايدن وجد أن تسليم السلطة في سوريا لقوى سنية "مضبوطة" هو أفضل ضمانة لكيلا تقوم لـ"حزب الله" قائمة بعد الضربات الإسرائيلية عبر قطع خط الإمداد "القصير- البوكمال".
ضربة معلم تضعف "الحرس الثوري" و"حزب الله" والتيار المتشدد وتصب بمصلحة إسرائيل وأمريكا دون تكلفة. سقوط الأسد هو "الجزرة" التي قدمت للثوار السوريين، علمًا أن "العصا" الإسرائيلية جاهزة دومًا للضرب بيد من حديد على "كل من يفكر في تهديد إسرائيل"، بحسب نتنياهو.
اللاعب الإسرائيلي هو إذًا في قلب الحدث السوري شئنا أم أبينا، الآن ذهب "الولد" ودخل "المعلم" إلى الساحة، وهو ما يفسر الغارات الإسرائيلية وتحركات القوات الإسرائيلية في الجولان لخلق واقع جديد يستفيد من الفوضى القائمة في البلاد بما يوجب التحرك السريع من أجل سلطة انتقالية لها مشروعية وقبول دوليين، كي لا نكسب دمشق ونخسر جنوبي سوريا إضافة إلى الجولان. مسارعة نتنياهو لإلغاء اتفاقية فك الاشتباك المشؤومة الموقعة عام1974 تنضوي في هذا الإطار.
هذه الاتفاقية هي في أصل الكارثة السورية. إسرائيل "أقطعت" سوريا لآل الأسد بشرط حماية حدود إسرائيل وبمباركة أمريكية وسوفييتية (حينها) مع السعودية في دور "بيت المال"، وأتى الإيراني بعدها إلى "عرس الدم السوري" مطالبًا بحقه في "حماية المراقد".
معاهدة الخيانة هذه أصبحت من التاريخ بعدما كلفت السوريين مئات آلاف الشهداء منذ "حماة" عام 1982 وحتى شهيدي الأمن السياسي منذ أيام، إضافة إلى ملايين المهجرين وعشرات آلاف المعتقلين، كل ذلك من أجل "أن يتزلج الإسرائيليون في الجولان بأمان".
الذئب الإسرائيلي لم ولن يصبح "حملاً" دون "ربيع" إسرائيلي يقصي عصابة نتنياهو، الذي أمسك بالسلطة في إسرائيل لأطول مدة في تاريخ هذه الدولة، ووصل إلى الاستعانة ببن غفير وأتباعه المتطرفين من "فتيان التلال". نتنياهو يخرج من معركة ليدخل أخرى ويطيل أمد الحرب، فقط لكي يبقى في السلطة ولا يذهب إلى السجن مثل أيهود أولمرت الذي كان أشرف منه بكثير.
لنتفاءل خيرًا، فجرير الذي أمضى عمره في هجاء الفرزدق بكى يوم وفاة هذا الأخير قائلًا : "والله ما تبارى رجلان وتناطح كبشان، فمات أحدهما، إلا وتبعه الآخر عن قريب"، والله أعلم وعسى أن "يلحق الحبل بالدلو...".
في النهاية وكما قال امرؤ القيس: "اليوم خمر وغدًا أمر".
اليوم يوم فرح وعرس حرية وأمل، لتعود سوريا للسوريين جميعًا، بكل طوائفهم ومعتقداتهم، باستثناء من ولغوا في دماء الأبرياء أيًا يكن منبتهم.
مبارك لشعبنا، معارضة وثوارًا وحتى "موالين" مغلوبين على أمرهم.
ألف مبارك، لقد انتهى الجزء الأول من بناء سوريا الجديدة وقد كان الأقسى، لكن القادم صعب ويحتاج إلى كثير من الجهد والعمل.
هكذا هو الأمر في كل البلاد التي تعرضت لنكبات وخاصة بلدنا الذي عاش في "جحيم دولة العصابة"، "سوريا الأسد"، التي انتهت غير مأسوف عليها.
د. أحمد غياث سليمان "بيزية" فرنسا سابقًا: "د. أحمد الشامي ".

عن الذين يعاندون عقارب الساعة

غزوان قرنفل

لم يكن الاجتياح الكبير لمناطق سيطرة النظام، الذي تم في بضعة أيام لا أكثر، عملاً عسكريًا اعتياديًا من تلك التي اعتادت عليها مساحة الصراع في سوريا طوال 12 عامًا. حقًا لقد كان زلزالًا جيوسياسيًا بدّل قواعد الصراع نفسه، واقتنص أوراق قوة تسمح للسوريين الواقفين على ضفة الثورة بالتفاوض بزخم وقوة أكبر، بعد أن انتزعوا من خصومهم أوراقًا ليس من السهل على هؤلاء ابتلاع خسارتها.
غني عن القول بطبيعة الحال إن هذا الفعل لم يكن ليحصل دون ضوء أخضر تركي، وربما غض طرف روسي، أريد به في المقام الأول كسر شوكة "الأسد" وإجباره على الامتثال لموجبات الرسائل الدبلوماسية التي حضّته عليها روسيا بشأن الاستجابة لرسائل التطبيع التركية، وهو ما يعني أن العملية كان يفترض أن تكون محدودة الزمن والنطاق الجغرافي بما يسمح باستعادة المناطق التي خسرتها الفصائل المعارضة عام 2020 أو بعضها، وربما لم تتوقع روسيا، أو ربما تركيا أيضًا، أن تتطور الأمور باتجاه السيطرة مجددًا على حلب التي استماتت روسيا قبل ثماني سنوات لانتزاعها من الفصائل المعارضة.
حجم الانهيار والضعف والارتباك في صفوف النظام وميليشياته كان صادمًا ومفاجئًا، رغم إدراكه أن المعركة قد تتطور باتجاه حلب نفسها، بدليل التحضيرات والأوامر التي تسرب بعضها بضرورة إخراج ونقل جميع السجلات الحكومية وإفراغ المصارف منها، وهذا يؤشر إلى مدى هشاشة النظام ومؤسساته العسكرية والأمنية التي ما عادت قادرة على تنظيم دفاع حقيقي عن مدينة كبرى كحلب دون أن يكون لديها دعم كبير من حلفائها، وخاصة من الميليشيات الطائفية الشيعية و"الحرس الثوري الإيراني"، الذي ما إن فقدهما بسبب الاستهداف الإسرائيلي لهما وتقليم أظافرهما في سوريا ولبنان، وانشغال روسيا في وحلها الأوكراني، حتى بان العجز فاضحًا على سلطة لا تملك إلا الاستقواء على شعبها واستباحته.
على المستوى النظري والدبلوماسي، لا يمكن افتراض أن هذه العملية أسقطت صيغة "أستانة" بكليتها والاتجاه نحو نهج الحسم العسكري لهذا الصراع، ربما يمكن تأويلها على أنها كسر للمحددات التي أجبرت الفصائل المسلحة المعارضة على الامتثال لها إثر هزيمتها العسكرية عام 2020 وتقلّص مساحات سيطرتها الجغرافية كثيرًا بما لا يجعل لها أي وزن أو قيمة فارقة في معادلات الحل السياسي، خصوصًا مع جنوح أنقرة نحو المصالحة مع النظام وإيجاد تفاهمات معه تتيح لها إعادة اللاجئين وسحب قواتها العسكرية من سوريا دون قلق على أمنها القومي، كما كانت تعتقد، والتي لم يستجب لها النظام، ونشكر الله أنه لم يفعل.
إذًا، هذه الانتصارات ليست فقط تضيف تثقيلًا قويًا لوزن القوى المعارضة، بل أيضًا تمنحها زخمًا وأوراقًا تفاوضية قوية، تجعلها قادرة على قبول أو رفض ما يمكن قبوله وما يتعين رفضه، والمعيار في ذلك دائمًا هي مطالب السوريين بطي صفحة الاستبداد وتفكيك بناه وأدواته السلطوية والانتقال إلى ضفة تحول ديمقراطي حقيقي يعلي من شأن الإنسان وحقوقه ويكرّس مبادئ المواطنة وسيادة القانون.
الحقيقة أن السوريين أمام مرحلة جديدة واستحقاقات كبيرة مرتبطة بالإجابة عن سؤال جوهري ذي شقين، الأول منهما يتعلق بالمقاربة الروسية الصدئة للمسألة السورية التي تبنتها موسكو منذ بدء الاحتجاجات قبل 13 عامًا، عندما حبست نفسها ضمن معادلة أنها "لن تسمح للسنة بحكم سوريا"، وأن نظام الأسد هو البديل عن نظام الأسد! أما الشق الثاني فيتعلق بالنظام نفسه وبقدرته على الاستجابة الجدية لموجبات حل سياسي حقيقي ومستدام في سوريا.
منطق الأشياء يقودنا لإجابة تقول إن الأسد لا يستطيع ولا يرغب بالامتثال لموجبات الحل السياسي، لأنه يدرك أن أي حل يتسم ببعض الموضوعية يعني دقًا للمسامير الأخيرة في نعشه، وأن روسيا نفسها لم تعد على الأغلب قادرة على الخروج من مقاربتها الغبية والقاصرة للحل في سوريا، بعد أن أعملت قتلًا في السوريين واختبرت أسلحتها على حيواتهم وأحيائهم ومدنهم، إلا إذا حصلت على ضمانات تحميها من المساءلة عن تلك الجرائم، وأن يكون لها دور وكلمة في تشكيل بنية السلطة البديلة إن حصل توافق دولي معها على ذلك.
خارج هذا السياق أعتقد أن الصراع سيبقى مفتوحًا، على الأقل في الآماد المتوسطة، على مختلف الاحتمالات، رغم أن جميع الأطراف الإقليمية والدولية يفترض أنها قد تعزز الإدراك لديها الآن أن السوريين ليسوا في وارد التخلي عن حقوقهم وأحلامهم بالعيش كبشر.
المساعي الدبلوماسية تنصب الآن لبعث الروح في صيغة "أستانة" عبر الصدمات الكهربائية بهدف معاندة عقارب الساعة، وغالبًا سيتم الاشتغال على تفاهمات بين الفاعلين ليست معظمها في مصلحة السوريين، فحذارِ من أولئك الذين يؤخذون مخفورين ليكونوا شهود زور على موت أحلام السوريين.

سجون تُغلق في سوريا

سجن حلب المركزي

حُرر المعتقلون داخله في 29 من تشرين الثاني
عددهم نحو 5000 معتقل بينهم سيدات وأطفال
وأشخاص قابعون خلف القضبان من 33 عامًا

سجن حماة المركزي

تمت السيطرة عليه في 5 من كانون الأول

سجن حمص العسكري

الموقع: مدينة حمص
تمت السيطرة عليه في 7 من كانون الأول
خرج منه 3500 سجين، يطلق عليه سجن "البالون" أو "الرباعي"، يقع على طريق دمشق الدولي، خلف جامعة "البعث"

سجن مطار المزة العسكري

الموقع: دمشق
كانت تسيطر عليه المخابرات الجوية والفرقة الرابعة، وشهد اعتقال آلاف من المتظاهرين السوريين خاصة خلال سنوات الثورة الأولى
تعرض المطار لغارات إسرائيلية في 8 من كانون الأول بعد السيطرة عليه، وعند وصول مقاتلي "ردع العدوان" كان المطار خاليًا من المعتقلين

سجن صيدنايا

الموقع: ريف دمشق
سيطرت عليه المعارضة في 7 من كانون الأول 2024
يُعرف بعدة أسماء منها "المسلخ البشري" و"مصنع الموت" و"القبر" و"الثقب الأسود"
استطاعت "ردع العدوان" إخراج قسم من المعتقلين منه، ولا تزال تحاول فتح أبوب القسم الأحمر

إدارة المخابرات العامة

أو يعرف باسم فرع أمن الدولة
الموقع: حي كفرسوسة – دمشق
أظهرت مقاطع مصورة إخراج معتقلين منه، بعد سيطرة المعارضة على دمشق في 8 من كانون الأول

سجن إزرع المركزي في درعا

حُرر المعتقلون داخله في 6 من كانون الأول

سجن "فرع فلسطين" أو الفرع " 235 "

المكان: دمشق
تمت السيطرة عليه في 7 من كانون الأول

سجن السويداء المركزي

حُرر منه حوالي 550 معتقلًا
في 7 من كانون الأول

رغم استبعاد الحقوقيين..
بحث مستمر عن أقبية سرية في سجن صيدنايا

عنب بلدي – خاص

تتواصل عمليات البحث عن معتقلين في سجن صيدنايا ذائع الصيت، والانتظار من ذويهم على أبواب وبمحيط السجن في ريف دمشق، منذ يومين، على أمل العثور عليهم، سواء في السجلات، أو في أقبية ربما تكون سرّية أو مخفية .

وكثرت المناشدات من الأهالي والناشطين إلى كل من لديه معرفة بخفايا وتفاصيل السجن، ووصلت فرق "الدفاع المدني السوري" التي لم تعثر على أي أبواب سرية يتم الحديث عنها، ولا تزال تعمل بأدوات الخرق والبحث والمجسات الصوتية حتى يوم الاثنين 9 من كانون الأول.

"رابطة معتقلي ومفقودي صيدنايا" نفت وجود عالقين في أقبية سرية، وقالت إن السجن خالٍ من المعتقلين بجميع أبنيته (الأبيض والأحمر)، مع مناشدات وتوضيحات للأهالي والمنظمات الإنسانية والحقوقية.

الوصول إلى السجون ومنها صيدنايا جاء خلال عملية "ردع العدوان" التي أطلقتها فصائل المعارضة، في 27 تشرين الثاني الماضي، ضد قوات النظام السوري وحلفائه، وانتهت بإسقاط النظام.

ووصلت الفصائل إلى العاصمة دمشق، بعد السيطرة عدة مدن وبلدات، وعلى إثرها فر بشار الأسد إلى موسكو، واستطاعت الفصائل تحرير آلاف المعتقلين، لكن دون وجود لوائح أو أسماء أو توضيحات كافية، ما ترك ذويهم في حالة من التيه والضياع.

بحث مستمر ولا دلائل لوجود أقبية سرية

"الدفاع المدني السوري" (الخوذ البيضاء)، قال الاثنين، إن فرقه التي وصلت إلى سجن صيدنايا لم تعثر على أي أبواب سرية يتم الحديث عنها، ولا تزال تعمل بأدوات الخرق والبحث والمجسات الصوتية، وبوجود فرق "K9" التي تضم كلابًا مدربة.

ويرافق في البحث أشخاص يعرفون كل تفاصيل السجن، إضافة لاعتماد الفرق على إرشادات من أناس تم التواصل معهم من قبل الأهالي على أنهم يعرفون مداخل السجن والأقبية السرية.

وذكر "الدفاع المدني" أن فرقه تعمل بكل طاقاتها، لكن حتى الآن لا دلائل تؤكد وجود معتقلين ضمن أقبية أو سراديب السجن، وستستمر في البحث حتى التأكد من جميع أقسامه وبدقة.

فرق "الدفاع المدني" المرسلة إلى السجن هي 5 فرق متخصصة، فريق بحث وإنقاذ، وفريق لنقب الجدران، وفريق متخصص بفتح الأبواب الحديدية، وفريق كلاب مدربة، وفريق إسعاف.

مناشدة وجوائز

"الائتلاف الوطني السوري المعارض" أصدر بيانًا ناشد من خلاله "الدول الشقيقة والصديقة" خاصة تركيا والولايات المتحدة بالتدخل الإسعافي العاجل للمساعدة في إنقاذ المعتقلين العالقين في سجن صيدنايا.

وذكرت أنه تم التأكد من عدم وجود أقبية سرية ضمن السجن، واحتمال وجود سجون سرية في عموم العاصمة فيها آلاف المعتقلين.

وأضاف أن "الدفاع المدني السوري" مستمر بالبحث، لكنه بحاجة لدعم بخبراء ومعدات، وأن الوقت ينفذ وحياة آلاف المعتقلين في خطر، لأن النظام المجرم تركهم رهينة الموت كانتقام من "الثورة" واستمرار لجرائمه حتى حال فراره من البلاد.

وخلال الـ24 ساعة الماضية، أطلق عدد من الناشطين نداءات استغاثة بدول أو منظمات خبيرة للمساعدة في الوصول إلى المعتقلين، قبل أن يفوت الأوان.

ورصد عدد آخر من رجال الأعمال والثوار السوريين مكافآت بلغت إحداها 100 ألف دولار، من رجل الأعمال غسان عبود، لمن يملك شيفرة الأبواب أو يساعد على فتح كامل زنازين السجن.

"رابطة معتقلي صيدنايا" تنفي وتوضح

في أكثر من تقرير، أكدت "رابطة معتقلي ومفقودي سجن صيدنايا"، وفريقها الموجود داخل السجن خلوّه من المعتقلين بجميع أبنيته (الأبيض والأحمر).

وقالت "الرابطة"، الاثنين، إنه لا صحة لوجود معتقلين عالقين تحت الأرض، والمعلومات الواردة في بعض التقارير الصحفية غير دقيقة.

وأضافت أن تحرير آخر معتقل من سجن صيدنايا، كان يوم 8 كانون الأول الساعة 11 صباحًا.

وناشدت "الرابطة" أهالي المعتقلين والمختفين قسرًا بعدم التوجه إلى السجن، والتجمع داخله وخارجه، فهذا يصعب من مهمة الفرق العاملة على كشف مصير جميع المفقودين داخله.

وطلبت عدم السير على الطرقات الترابية قرب السجن، أو الاقتراب من الأسوار الداخلية والخارجية، وعدم الجلوس أو المشي داخل المناطق العشبية، لأنها تحوي ألغامًا ضد الأفراد والدروع.

وتناشد الرابطة جميع المنظمات لتقديم الدعم الكامل للمعتقلين المحررين، وتوفير الرعاية الطبية والنفسية والاجتماعية اللازمة، ومساعدتهم على تجاوز آثار هذه المحنة والاندماج مجددًا في المجتمع.

واعتبرت أن تحرير سجن صيدنايا ليس مجرد انتصار عسكري، إنما انتصار للإنسانية جمعاء، ورمز لانتصار إرادة الحياة على الموت والحرية على الاستبداد، ونهاية حقبة الظلم

"مسلخ بشري" و"ثقب أسود"

يقع سجن صيدنايا على بعد حوالي 30 كيلومترًا شمال دمشق، وعُرف بوحشية التعامل والإجرام داخله، وعمليات الإعدام الجماعية.

يُعرف السجن بـ"المسلخ البشري" و"مصنع الموت" و"القبر" و"الثقب الأسود"، وغيرها من الأسماء التي يحاول الناجون من خلالها نقل حجم المأساة التي عاشوها داخل السجن.

وفي 15 من أيلول 2022، كشفت وكالة "فرانس برس" بالتعاون مع "رابطة معتقلي ومفقودي صيدنايا" عن تفاصيل تعامل إدارة سجن صيدنايا مع جثث الضحايا بواسطة غرف مفروشة بالملح.

"غرف الملح" هي قاعات لحفظ الجثث، بدأ استخدامها منذ اندلاع الثورة السورية عام 2011، جرّاء ارتفاع عدد الضحايا داخل السجن.

وتحفظ الجثث من خلال وضع حوالي 20 إلى 30 سنتمترًا على أرضية الغرفة، لمنع تحللها والتقليل من الروائح التي يمكن أن تصدر منها خلال فترة بقائها داخل السجن.

ووثقت "منظمة العفو الدولية" في تقرير تحت عنوان "المسلخ البشري" نشرته، في شباط من عام 2017، إعدامات جماعية بطرق مختلفة نفذها النظام السوري بحق 13 ألف معتقل في سجن صيدنايا، أغلبيتهم من المدنيين المعارضين، بين عامي 2011 و2015.

وأوضحت المنظمة أن الإعدامات جرت أسبوعيًا أو ربما مرتين في الأسبوع، بشكل سري، واقتيدت خلالها مجموعات تضم أحيانًا 50 شخصًا، إلى خارج زنزاناتهم، وشنقوا حتى الموت.

فرق الدفاع المدني السوري تبحث عن أقبية سرية في سجن صيدنايا بريف دمشق – 9 كانون الأول 2024 (الدفاع المدني السوري/ X)

كتاب

"ناجٍ من المقصلة"
فصول من الظلم في "دولة الأسد"

"إنها حكاية الآلاف ممن قضوا في ذلك السجن الرهيب، وضاعت حكاياتهم، كما ضاعت حقوقهم، وضاعوا عن قلوب ما زالت إلى هذه الساعة تنتظرهم".

بهذه الكلمات استهل الكاتب السوري محمد برو كتابه "ناجٍ من المقصلة"، الذي روى قصص الآلاف ممّن نجوا من سجن "تدمر" وممن لم ينجوا.

نجا الكاتب من سجون النظام السوري، بعد 13 سنة قضاها داخل السجن، ثمانٍ منها في تدمر، وخرج ليسطر ما عايشه في سنواته الثماني، بكتاب بلغ نحو 380 صفحة، والكثير من قصص الآلام والقهر في "دولة الأسد".

"ناجٍ من المقصلة" يندرج ضمن "أدب السجون" الذي يُروي عذابات السوريين في أكثر السجون ظلمة، وهو توثيق لقصص عايشها الكاتب، إلا أنه يشبه قالب الروايات، لولا أن الكاتب يسرد تفاصيل ووقائع، بعيدًا عن الحبكات الدرامية، وبطريقة سلسة ومشوقة.

ويسرد الكاتب برو في كتابه قصصه التي عايشها في ثمانينيات القرن الماضي، في تلك الفترة التي استبد فيها حافظ الأسد بالشعب السوري، وزج بالآلاف منه في السجون، وبينها سجن "تدمر" صاحب الصيت الأسوأ.

يبدأ الكاتب حديثه عن ليلته التي قضاها في فرع "أمن الدولة" بحلب، ثم انتقاله إلى سجن "حلب المركزي"، ومن ثم إلى "مقصلة تدمر".

ويدخل الشاب القاصر عام 1980 ضمن رتل من مئة سجين، ويمر عبر بوابة حديدية سوداء صدئة، كتب أعلاها "الداخل مفقود والخارج مولود"، ثم يروي طرق التعذيب التي تبدأ بـ"التشريفة"، وهي حفل استقبال السجين، الذي ينظمه السجانون بالسياط والجنازير، وأدوات الاحتفال الأخرى.

وفي محطته الأخيرة بـ"مقصلة تدمر" عام 1988، وعند النداء باسمه للخروج، ردد برو في نفسه، "أنا محمد برو، أبي خالد، وأمي مديحة، واليوم الاثنين"، ليتأكد أنه سليم العقل والحواس، وبعد ساعة مضت ببطء، قضاها برو بتوديع الأصدقاء، تحدث الكاتب عن "فوضى المشاعر" التي اجتاحته في تلك اللحظات.

وينتقل برو إلى مقصلة أخرى اسمها سجن "صيدنايا العسكري"، قضى فيها خمس سنوات أخرى من العذاب، ثم خرج إلى الحياة مجددًا، ولكن "وإن خرج بجسده من السجن حيًا، ستكون زنزانته معه وقد صُلبت روحُه فيها"، كما يقول.

محمد برو كاتب سوري، ومدير مركز "صدى لاستطلاعات الرأي"، صدر كتابه "ناجٍ من المقصلة" عام 2020 عن دار "جسور للترجمة والنشر".

اعتقل عام 1980، وهو بعمر الـ17 عامًا، بتهمة الانتماء إلى جماعة "الطليعة المقاتلة" التي تنتمي إلى تنظيم "الإخوان المسلمين"، والتي نشطت في أواخر سبعينيات القرن الماضي، وحاربت النظام السوري في حماة وحلب وإدلب.

وخرج من سجن "صيدنايا" عام 1993، ونجا من حكم الإعدام كونه لم يبلغ السن القانونية، وحكم بالسجن 10 سنوات قضى منها 13 عامًا.

وللكاتب مقالات وأبحاث منشورة على شبكة الإنترنت، منها على موقع مركز "حرمون للدراسات".

القائد المؤسس حافظ الأس

عنب بلدي
جريدة أسبوعية
تأسست في داريا
enab baladi
من كرْم الثورة

الاثنين 09 كانون الأول / ديسمبر 2024
العـــدد 668 – الســنـــة الثالثة عشـرة
www.enabbaladi.net
20 صفحة

سوريا والمرحلة الجديدة

لمى قنوت

توافقت الدول المؤثرة في القضية السورية، ومن ضمنها تركيا وروسيا وأمريكا وإسرائيل، على إخراج "الحرس الثوري الإيراني" والأذرع الإيرانية في سوريا، أو الحد من وجودها ونفوذها، كعنوان عريض لمعادلة جديدة، مدركين عدم قدرة الأسد على إخراجهم، حاسمين أمرهم في الضغط عليه، بعد مراوغاته ورسائله المزدوجة، التي تارة ما تطمئن الإيراني من جهة، وتضيق عليه من جهة أخرى.

لقد أسهم اختلال التوازنات الإقليمية بعد الحرب الإسرائيلية على لبنان، والضرر الذي أصاب المحور الإيراني في لبنان وسوريا، عبر إضعاف "حزب الله" وضرب إمدادات سلاحه التي تمر عبر سوريا، بالإضافة إلى رفض الأسد كل المحاولات التركية المتكررة المدعومة من حليفه الروسي للحوار معه، في إنضاج تفاهمات دولية للضغط عليه وعلى الإيرانيين عبر عملية عسكرية مضبوطة تقوم بها فصائل معارضة بقيادة "هيئة تحرير الشام"، خاصة أن الأسد تعنّت في رفض كل الفرص السياسية التي قُدمت له بدءًا من حل سياسي وفق القرار "2254"، مرورًا بلجنة دستورية لا سقف زمني لعملها، والانفتاح العربي عليه الذي لم يثمر بتغيير مواقفه تجاه أي "تسوية سياسية" مهما كانت شكلية وسطحية تمهيدًا لعودة اللاجئين واللاجئات ووقف إغراق الأسواق العربية وصولًا إلى العالمية بـ"الكبتاجون"، بل على العكس تمامًا، بقي متمترسًا ومتصلبًا مواصلًا قيادة سوريا نحو الدمار الشامل على كل الأصعدة.

توقيت انطلاق عملية "رد العدوان" في 27 من تشرين الثاني 2024 كان مفاجئًا لإيران فقط، فالتعبئة والتحضير لدخول حلب كانت تعد لها الفصائل حسب تصريح أحمد الشرع (أبو بكر الجولاني) في خطابه في 28 من أيار 2024، حين قال إنه "لم يبقَ إلا القليل لنصل إلى حلب"، وخاطب يومها الحاضرين قائلًا: "أراكم تجلسون في حلب كما أراكم أمامي الآن"، واصفًا حلب بأنها كانت رافعة للثورة السورية، ولا تزال، وبأن خسارتها كانت نكسة أليمة للثورة.

إن تهاوي خطوط دفاع النظام، والانسحابات العشوائية، وترك معدات الجيش والضباط المصابين منه بعد الانسحاب من حلب، دليل واضحة على تفكك الجيش وتهالك معنويات قواته، بالرغم من مزاعم قيادته على أنها تراجعات تكتيكية مؤقتة، كما ورد في بيان وزارة الدفاع السورية بعد سيطرة فصائل المعارضة على محافظة حماة، والأهم من ذلك أن عددًا لا بأس به من قوات الجيش لا ترغب في الدفاع عن نظام أودى بشعبه، كل شعبه، للتهلكة والاقتتال والإفقار، وتشير أيضًا هذه المعطيات إلى ضعف وهشاشة سلطة الأسد وإذعانه الواسع للنفوذ الإيراني والروسي، والفراغ العسكري الذي تركه "حزب الله" بعد انسحاب عدد من قواته إلى لبنان بعد عملية السابع من أكتوبر2023 ، وانسحاب قيادات إيرانية بعد اتفاقات "خفض التصعيد" في إطار عملية "أستانة".

لن يحارب داعمو الأسد بدلًا عنه، هذا ما صرح به حليفاه الروسي والإيراني، كتصريح مصدر مقرب من الكرملين لـ"بلومبيرغ" أن موسكو "لا تتوقع أي خطة لإنقاذ الأسد ما دام الجيش السوري يترك مواقعه"، وأن تدخلهم سيكون محدودًا ولديهم أولويات أخرى في هذا التوقيت، وتصريح عباس عراقجي وزير الخارجية الإيراني أنه "لا يمكن التنبؤ بمصير الرئيس السوري بشار الأسد"، كما أن إيران أجلت العديد من قادتها العسكريين في سوريا إلى العراق ولبنان واللاذقية، ونقلت بعض ميليشياتها مثل "لواء فاطميون" الأفغاني إلى دمشق واللاذقية، وفسر المحلل الإيراني مهدي رحمتي هذا الإجلاء بأنه: "جاء نتيجة إدراك إيران أنها لا تستطيع القتال كقوة استشارية وداعمة إذا كان الجيش السوري نفسه لا يريد القتال".

أما إسرائيل التي تسعى وراء أطماعها التوسعية، فتستبيح المنطقة الحدودية السورية المنزوعة السلاح، عبر توغلات عسكرية، ودورات تدريبية استعدادية لجنودها ومجنداتها، وإنشاء مشروع خط ألفا، الذي يهدف لقطع جغرافي بين الجولان المحتل وباقي الأراضي السورية عن طريق حفر وتجهيز خندق كبير، بالإضافة إلى غاراتها الجوية وقصفها المتكرر، ويعتبر قادتها كالرئيس السابق للاستخبارات العسكرية، تامير هيمان، الذي يقول إن "الأحداث في سوريا تولّد فرصًا أكثر بكثير من المخاطر، وهو أمر من المهم استغلاله"، وهذا ديدن الاحتلال في دعم أنظمة الاستبداد واستغلال هشاشة الدول والانقسامات الداخلية والصراعات وما يطلق عليه بحالات الفوضى المضبوطة (controlled chaos).

حتى الآن، رغم الخطاب الجديد لـ"الجولاني"، وإظهار فصائل المعارضة انضباطًا وقدرة على تجنب الفتن، والاشتباك مع المدنيين، وعدم فرض أيديولوجيتها عليهم بشكل عام، وعلى النساء بتنوعاتهن بشكل خاص، وترك إدارة المدن والمناطق التي سيطرة عليها للمدنيين، فإن تجربتنا على سبيل المثال مع "هيئة تحرير الشام" في مناطق سيطرتها قبل عملية "رد العدوان"، كانت مليئة بالانتهاكات، وعمّ الاستبداد بكل أشكاله فانطلقت مظاهرات شعبية في إدلب تطالب بإسقاط "الجولاني" و"الهيئة"، كما فرضت "الهيئة" قيودًا كبيرة على النساء والفتيات بتنوعاتهن، وحدّت من قدرتهن على الحركة والعمل والناشطية.

أمامنا اليوم، كسوريين وسوريات، تحديات كبيرة في ترجمة توقنا للتحرر من الاستبداد، وفرحتنا الحالية في تبييض السجون وإخراج المعتقلين والمعتقلات، وعودة المهجرين قسرًا إلى مدنهم وبيوتهم، إلى بناء سوريا وطنًا ومواطنة لجميع السوريين، نساء ورجالًا، بكل تنوعاتهم، وأن تكون سوريا موحدة مستقلة في قرارها الوطني ذات سيادة على كامل أراضيها وثرواتها بعيدًا عن هيمنة دول ومشاريع احتلال.

سيدة ترفع علم الثورة في ساحة الأمويين في دمشق – 8 كانون الأول 2024 (عنب بلدي/ديان جنباز)

هل هي خطة أم مؤامرة؟

خطيب بدلة

خروج جماعات إسلامية، جهادية، من شمال غربي سوريا، باتجاه حلب، ثم دخولها مدينة حلب، بسرعة البرق، وانطلاق جماعة أخرى للاستيلاء على سراقب، وخان شيخون، والمعرة، وعشرات البلدات والقرى، وصولًا إلى مشارف مدينة حماة، دون التعرض لمقاومة تُذكر، يدفع إلى المقدمة بسؤال وحيد: هل هذه مؤامرة؟

أنا، محسوبكم، أعترض على مصطلح "مؤامرة" بحد ذاته، فالتآمر يستهدف، عادة، دولًا قوية، منافسة، تشكل خطرًا على الدول المتقدمة، وأما سوريا الضعيفة، المنهكة، المهلهلة، فمَن ذا الذي يتآمر عليها؟ ولماذا؟

التوصيف الدقيق للحالة، أن وضع سوريا، اليوم، يشبه وضع الإمبراطورية العثمانية في أثناء الحرب العالمية الأولى، عندما اعتبرتها الدول القوية "رجلًا مريضًا"، وأخذت تتسابق لتقاسم تركتها قبل أن تموت.

وقعت إسرائيل ولبنان اتفاق وقف إطلاق النار، الذي كنت قد أطلقت عليه اسم "اتفاق استسلام حزب الله"، في 26 من تشرين الثاني الماضي، وفي اليوم التالي، 27 من تشرين الثاني، انطلقت جيوش "هيئة تحرير الشام"، لتسيد وتميد، وتحرر، وتفتح، ما يعني أن الخطة المتفق عليها كانت مرسومة، ومجهزة، ولم يكن غريبًا أن يصادف وجود بشار الأسد، ليلتها، في موسكو، وأن "تطنش" روسيا والجيش السوري عن العملية، ليخرج علينا إعلاميو الثورة بسردية تبدو مقنعة، مفادها أن الجيش السوري متهالك، غير قادر على مواجهة المجاهدين، والروس منشغلون بحرب أوكرانيا، وعلى كل حال: الله ولي التوفيق.

في آذار 2015، ضب نظام الأسد "كلاكيشه"، وخرج من إدلب، ودخلت محله مجموعة فصائل جهادية عرفت باسم "جيش الفتح"، فهلل الناس وكبروا، وعقدت الدبكات، وبسطت صواني الشعيبيات في الشوارع، وحطم المجاهدون تمثال الطاغية حافظ، واقتحموا الفروع الأمنية، وبعد أقل من ساعتين باشر الطيران بقصف المدينة.. ومر زمن لا يستهان به، حتى عرفنا أن هدف النظام من ذلك الانسحاب السلس، تهيئة إدلب لتلقي العشرات من الباصات الخضر، المحملة بعائلات مجاهدين من ريف دمشق، ضمن خطة النظام لبناء ما أسماه "سوريا المفيدة".

يتحدث المثقفون، والصحفيون، المؤيدون "ضمنًا" للجولاني وحكومته، باستفاضة، عن التنظيم، والعمران، والمولات التي أنشئت خلال السنوات السابقة، و"يطنشون" عن أفعاله المخجلة، كتطفيش المسيحيين، والاستيلاء على أملاكهم، وتهجير شيعة كفريا والفوعة، مقابل تهجير النظام لبعض السنة، وفرض عشرات القيود على لباس المرأة، وحركتها، وتنفسها، وإطلاق اسم "المكون السني" على المنطقة، وجعلها ملتقى لمختلف صنوف الجهاديين، القادمين من الدول الإسلامية المختلفة، وأما اليوم، فأصبحوا يتحدثون بحماس أكبر، عن أن المجاهدين الذي دخلوا حلب، لم يؤذوا المسيحيين، ولم يفرضوا عليهم الجزية (حتى الآن)، وأن تكسير واجهات محال بيع الخمور في حلب، عمل فردي، ولم يبقَ إلا أن يخبرونا بأن الجولاني رجل علماني ديمقراطي، كان متنكرًا بزي مقاتل في تنظيم "القاعدة"!

بالعودة إلى العملية العسكرية الجهادية، ومحاولة تفسيرها، أرى أن هدفها استكمال عملية اجتثاث الوجود الإيراني في المنطقة، وإخراج سوريا من دائرة النفوذ الإيراني، وأزيدك من القصيد بيتًا، هو أن المآل الأبعد، محاربة الإرهاب، يعني: القضاء على الجولاني نفسه، وحكومته، وجيشه، بعد أن ينجز المطلوب، في ضرب الإيرانيين.